لواء أحمد عبد الوهاب

رسالة من التوراة إلى مؤتمر السلام

إبطال مزاعم إسرائيل الدينية والتاريخية في فلسطين







٨ شارع الجمهورية عابدين القاهرة ت: ٣٩١١٣٩٧ فاكس: ٣٩١٣٤٠٦

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

" سلام سلام للبعيد وللقريب ، قال الرب "

(سفر اشعياء ٥٧ : ١٩)

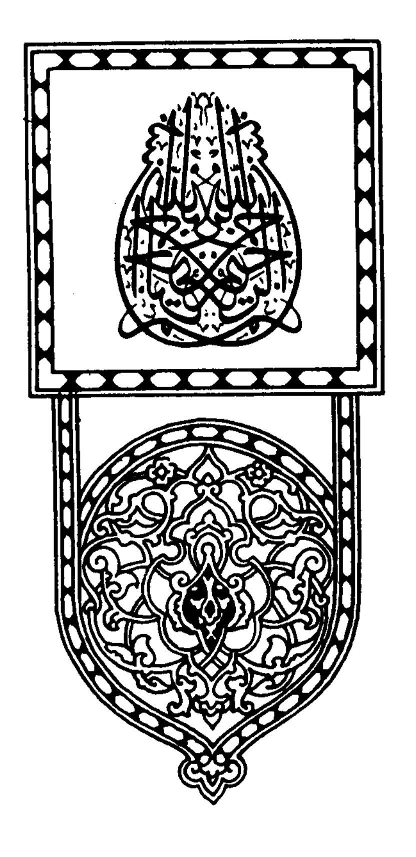
" طوبى لصانعي السلام "

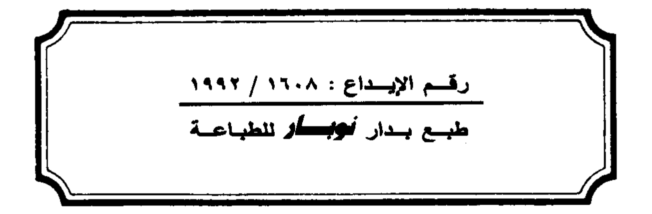
(انجيل متى ٥ : ٩)

﴿ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان ، إنه لكم عدو مبين * فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم ﴾

[قرآن كريم ٦ : ٢٠٨ ــ ٢٠٩]

* * *





رقم الإيداع : ١٦٠٨ / ١٩٩٢

طبع بدار نوبار للطباعة

مقدمة

استطاعت الجهود الديبلوماسية النشطة التي قامت بها الولايات المتحدة الأمريكية ومصر والاتحاد السوفيتي وعدة دول أخرى أن تبدأ **مؤتمر السلام في الشرق الأوسط** ، في محاولة لوضع حد للصراع العربي الاسرائيلي ، وإيجاد حل دائم وعادل لقضية الشعب الفلسطيني التي هي لب هذا الصراع .

فلأول مرة تجتمع هذه الأطراف العربية ذات الصلة المباشرة بهذه القضية المزمنة مع اسرائيل على مائدة المفاوضات ــ ولأول مرة يجلس الفلسطينيون والاسرائيليون وجها لوجه ــ من أجل اقامة سلام دائم وعادل بين شعوب الشرق الأوسط لكي تعيش داخل حدود دولها المعترف بها .

لقد وجهت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي الدعوة لحضور المؤتمر بصفتهما القوتين الأعظم والقائمتين على رعايته . وقد افتتح رسميا يوم ٣٠ أكتوبر ١٩٩١ في العاصمة الأسبانية مدريد بكلمة افتتاحية ألقاها السيد فيليب جوانزاليس رئيس وزراء أسبانيا الدولة المضيفة ، أعقبها خطاب الرئيس الأمريكي جورج بوش ، ثم خطاب الرئيس السوفيتي ميخائيل جورباتشوف . وفي جلسة المساء يوم ٣٠ أكتوبر ألقى السيد هانز فان دين بروك وزير خارجية هولندا كلمته بصفته رئيسا لمجلس وزراء خارجية المجموعة الأوربية ، ثم تبعه السيد عمرو موسى وزير خارجية جمهورية مصر العربية لالقاء كلمة مصر .

وقد شهد اليومان التاليان ـــ ٣١ اكتوبر و ١ نوفمبر ـــ كلمات رؤساء الوفود الأخرى وتعقيباتهم ، والتي انتهت بكلمتين ختاميتين للسيد جيمس بيكر وزير خارجية الولايات المتحدة ، ثم السيد بوريس بانكين وزير خارجية الاتحاد السوفيتي ، بصفتهما رئيسي المؤتمر المناوبين .

* * *

لقد كان رئيس الوفد الاسرائيلي ـــ اسحق شامير رئيس وزراء اسرائيل ـــ هو أول المتحدثين في اليوم التالي لافتتاح المؤتمر ، فقال في كلمته ما شاء أن يقول . وكان الشيء اللافت للنظر حقا أنه بدأ خطابه بحديث عن " خلفية تاريخية " وذكريات " على أثر شاعر المزامير : لن أنساك يا أورشليم " ، وتمنيات " لبعضنا البعض أن نكون في أورشليم في السنة القادمة " ، وتعبيرات في " صلواتنا وأدبنا عن الشوق العميق للعودة إلى بلادنا " .

لقد كانت الذكريات والتمنيات والاحلام هي مدخل رئيس الوفد الاسرائيلي لمناقشة قضية الصراع العربي الاسرائيلي ـــ الذي بدأ منذ أكثر من سبعين عاما ولا يزال إلى الآن ـــ وكان الشوق العميق إلى الأرض عاملا رئيسيا في نظره يريد أن يفرضه على غيره .

وإذا كان من حق كل انسان أن يحلم أو يتذكر كما يشاء ، فليس من حقه أبدا أن يفرض احلامه وذكرياته على الآخرين ويلزمهم بها ، خاصة إذا كان ما يترتب على تلك الاحلام والذكريات ، سفك دماء وتشريد شعوب وتعاسة ملايين من البشر .

ما كان لمثل هذا الكلام أن يثار من قريب أو من بعيد في مثل هذا المؤتمر الدولي الكبير الذي تتطلع اليه عيون مئات الملايين من البشر وأفئدتهم . إنَّ أقل ما يوصف به هذا الموقف أنه لعب في موضع الجد ، واستهزاء بعقول الناس واستعلاء عليهم .

لقد كان مدخل رئيس الوفد الإسرائيلي لعرض وجهة نظر حكومته على هذه الصورة الرومانسية الحالمة هو الحافز الرئيسي لكتابة هذه الدراسة . ولهذا سوف نركز على مناقشة ما جاء بخطاب اسحق شامير رئيس الوفد الاسرائيلي عن ذكرياته واحلامه كيهودي بولندي هاجر إلى فلسطين وشارك في العمل من أجل اقامة دولة اسرائيل منذ كان عضوا يعمل في المنظمات السرية .

إن هذه الدراسة تأتي في صورة رسالة إلى **مؤتمر السلام في الشرق الأوسط** تقوم على عرض تاريخي للوجود الاسرائيلي بفلسطين ، **يعتمد بالدرجة** الأولى على **التوراة (كتب موسى الخمسة) وبقية الأسفار الأخرى المقدسة عند الاسرائيلين ،** والتي يقولون أنها كانت دائما مصدر الهامهم وتطلعاتهم و خططهم ، وذلك بالاضافة إلى عدد آخر من المراجع بعضها اسرائيلي ، وبعضها الآخر يتسم بالحيدة التامة ولا يمت اغلبها بادنى صلة للعرب .

وهناك قائمة بأسماء المراجع الرئيسية وضعت في نهاية هذا الكتاب ، يحمل كل مرجع رقما مسلسلا ، وعند الاقتباس منه يكتفي بالاشارة إلى رقمه في هامش الصفحة ، وذلك تيسيرا للعمل .

إننا نرجو مخلصين ان يحقق **مؤتمر السلام في الشرق الأوسط** الآمال المعقودة عليه ، وأن يعيد الحق المسلوب إلى أصحابه ، وأن يكون بداية عهد من الخير والسلام لمنطقة الشرق الأوسط . ولن يكون ذلك إلا بالاعتراف بالحقائق المجردة والالتزام بالشرعية الدولية التي نرجو أن تتركز دعائمها في هذا العقد الأخير من القرن العشرين ، وأن تكون هى المدخل الرئيسي لحل مشكلات العالم المعاصر .

﴿ ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشدا ﴾

أحمد عبد الوهاب

* * *

مقتطفات من خطاب اسحق شامير
رئيس الوفد الاسرائيلي ورئيس وزراء اسرائيل
في مدريد يوم ٣١ أكتوبر ١٩٩١ ......

□ '' خلال ألفي عام من الترحال حط الشعب اليهودي ها هنا لمئات السنين حتى طرد من هذه الأراضي (أسبانيا) قبل خمسمائة سنة . وفي ختامها عبر الشاعر والفيلسوف الكبير يهودا هاليفى عاليزى عن شوق جميع اليهود إلى صهيون فقال : '' ان قلبي في الشرق وأنا في أقصى أرجاء الأرض '' .. يجب أو يتعين على الواحد منا أن ينظر اليوم إلى السيادة اليهودية على أرض اسرائيل على خلفية تاريخية لادراك معنى السلام بالنسبة للشعب في اسرائيل . لقد تمت ملاحقة اليهود عبر التاريخ في كل القارات تقريبا ، في بعض البلدان تقبل الأهالي اليهود بصعوبة ، وفي بلدان أخرى تعرض اليهود للاضطهاد والتعذيب والذبح ... وشهد هذا القرن خطة إبادة نفذت على أيدي النظام النازي ... أمكن تنفيذها لأن أحدا لم يدافع عنا ، فقد كنا بدون وطن ، وكذلك بدون حماية ... وفي الواقع فقد جاءت ولادة اسرائيل من جديد بعد وقت قصير جدا من الكارثة ، جعلت العالم ينسى مطالبنا القديمة ، وأننا الشعب الوحيد في أرض اسرائيل بدون توقف ، أو الذي ظل في أراضي اسرائيل بدون توقف خلال حوالي أربعة آلاف سنة . فنحن الشعب الوحيد باستثناء فترة المملكة الصليبية القصيرة . الآن رجعت له سيادة مستقلة في هذه الأرض .. ولم يعبر شعب عن علاقته بأرضه بصورة ثابتة ومتواصلة مثلنا ، فعلى مدى آلاف

السنين قال شعبنا في كل فرصة على أثر شاعر المزامير '' لن أنساك يا أورشليم '' ، وعلى مدى آلاف السنين تمنينا لبعضنا البعض أن نكون في أورشليم في السنة القادمة '' .

وعلى مدى آلاف السنين عبرت صلواتنا وأدبنا عن الشوق العميق للعودة إلى بلادنا ، فأرض اسرائيل هي وطننا الحقيقي . وكل دولة أخرى مهما كانت سخية فهي ليست سوى مهجر ومحطة مؤقتة في طريقنا إلى دارنا .. وقد عبرت الحركة الصهيونية سياسيا عن مطالبتنا بأرض اسرائيل .. وفي عام ١٩٢٢ اعترفت عصبة الأمم بأحقية مطلبنا ، وادركت المنطق التاريخي المقنع لاقامة وطن قومي يهودي في أرض اسرائيل . وأقرت الأمم المتحدة هذا الاعتراف من جديد بعد الحرب العالمية الثانية ... إن الأمم المتحدة لم تخلق اسرائيل . لقد قامت الدولة اليهودية وتكونت لأن الطائفة اليهودية الصغيرة التي كانت تقيم في أرض اسرائيل تحت الانتداب ثارت على الحكم الأجنبي الامبريالي .. لقد جلب العداء العربي الاسرائيلي أيضا معاناة انسانية ، وشجع زعماء العرب على فلسطين تحت الانتداب مآت الآلاف من السكان على الهرب من بيوتهم، ومعاناة هؤلاء هي وصمة على جبين الانسانية ! .. .



مدخل إلى تاريخ فلسطين

□ تطالعنا أسفار موسى بالحديث عن أرض فلسطين باعتبارها أرض المهجر لأبي الأنبياء ابراهيم والتي كانت تعرف آنذاك باسم أرض كنعان . وفي هذا تقول : " قال الرب لأبرام اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك ..

فذهب ابرام كما قال له الرب وذهب معه لوط .. فأتوا إلى أرض كنعان — تكوين ١٢: ١ — ٥ " .

وإذا أخذنا بسلسلة الأنساب التي تذكرها هذه الأسفار نجدها تقول : " هذه مواليد بني نوح : سام وحام ويافث ..
وبنو حام : كوش ومصرايم وفوط و**كنعان** .. .
وكنعان ولد : صيدون بكره وحثا واليبوسي والأمورى والجرجاشى والحوى والعرقي والسيني والأروادي والصماري والحماني — تكوين ١٠ : ١ — ١٨ " .

* * *

وفي محاولة للتعرف على الشعوب والقبائل التي سكنت أرض فلسطين وما حولها قبل ظهور القبيلة الإسرائيلية نجد أن **الترجمة الفرنسية المسكونيه** تبدي تحفظا شديدا ازاء ما تذكره أسفار موسى عن تلك الشعوب نظرا لأن ما سطره

الكتبة الاسرائيليون في هذه الأسفار استمر يروى شفاها مدة طويلة من الزمن قبل أن يسجل كتابة ، وأنه لابد من التثبت من حقيقة محتواها باستخدام وثائق التاريخ والكشوف الأثرية .

تقول الترجمة الفرنسية المسكونية : " يتعذر علينا حصر أصل اسرائيل ، وهذا شأن معظم الشعوب. فقد سبقت دخول اسرائيل في التاريخ ، حوالي السنة ١٢٠٠ قبل المسيح ، حقبة تكوين طويلة تكاد تخفى كلها على المؤرخين . ومع ذلك فقد حفظ اسرائيل من هذه الحقبة ذكرى حوادث وشخصيات بارزة بقيت في التقليد الشفهي في روايات كانت تتناقلها الألسن من جيل إلى جيل . ومن شأن هذه الروايات أن توفر للمؤرخ كثيرا من المعلومات المفيدة . وبفضل المقارنة بين هذه التقاليد وما هو معروف عن تاريخ الشرق الأدنى والوثائق التي يقدمها علم الآثار ، يمكن الوصول الى اطلاع محدود على هذه الحقبة الحاسمة .

يجب البحث عن أجداد بني اسرائيل بين شبه البدو الساميين من رعاة الغنم الذين نراهم يتنقلون طوال الألف الثاني قبل المسيح على حدود شبه صحراء الهلال الخصيب ، وقد انتهى بهم الأمر شيئا فشيئا الى الاستقرار ... من شبه البدو أولئك نعرف ــ مجمعوتين معرفة خاصة ، هما الأموريون الذين استقروا في ما بين النهرين وسوريه وفلسطين حوالي السنة ٢٠٠٠ قبل المسيح ، والآراميون الذين استقروا في سوريه حوالي القرن الثالث عشر قبل المسيح . وتشير وثائق مصر وما بين النهرين إلى مجموعات أخرى كثيرة كانت تتسلل دون انقطاع إلى ما بين النهرين وفلسطين ومصر .

في هذه الحقبة المعروفة قليلاً ، يبرز التقليد الكتابي بعض الشخصيات العظيمة ، منها ابراهيم واسحق ويعقوب واجداد اسباط بني اسرائيل . ويتعذر علينا أن نقدر كما يجب تلك المعلومات التي يوفرها لنا التقليد عن هؤلاء الآباء .. .

جاءت نشأة الشعب (الاسرائيلي) تطورا معقدا بدأ على الارجح حوالي السنة ١٢٥٠ على عهد الفرعون رعمسيس الثاني . فقد استطاعت بعض المجموعات

السامية المقيمة في مصر والخاضعة لتسخيرات شاقة ان تهرب بقيادة موسى ، فجمعها موسى حول جبل سيناء ثم حول واحات قادش ، ولقنها عبادة الرب الذي حررها ، ونظمها تنظيما بدائيا . ''[1] .

لقد ذكر علماء الكتاب (المقدس)[2] في مقدمتهم تلك التي اقتبسنا بعضا منها آنفا ، اسماء شعوب مثل : الساميين والاموريين والآراميين . ولهذا سوف نقوم بجولة بين شعوب الشرق الاوسط القديم ، نستكشف فيها أصل هذه الشعوب وحركتها مع التاريخ .

* * *

الســـاميون

☐ **السامية اختراع حديث** : يقول سابا تينو موسكاتي : الاستاذ بجامعة روما في كتابه '' **الساميون في التاريخ القديم** '' '' لقد استخدم لفظ : **الساميين** ، لأول مرة في أوربا **عام ١٧٨١** ، حين كتب اوجست لودفج شليزر يقول :

من البحر المتوسط الى نهر الفرات ، ومن وادي الرافدين جنوبا الى الجزيرة العربية ، سادت ـــ كما هو معروف جيدا ـــ لغة واحدة . وعلى هذا : فالسوريون ، والبابليون ، والعبرانيون ، والعرب ، كانوا شعبا واحدا . ولقد تكلم الفنيقيون ايضا هذه اللغة التي اسميها **اللغة السامية** '' .

---

(١) المرجع ٢ : ص ٤٠ ـــ ٤١ .

(٢) اختفت كلمة : المقدس ، من عنوان الأسفار المقدسة عند اليهود والمسيحيين في طبعاتها الحديثة فصارت كالآتي :

في الانجليزية : **THE BIBLE (R.S.V)** بدلا من **THE HOLY BIBLE (KING JAMES)**

وفي الفرنسية : **LA BIBLE (T.O.B)** بدلا من **LA SAINTE BIBLE (L. SEGOND)**

لاشك أن شليزر أخذ هذا الاسم من الاصحاح العاشر لسفر التكوين الذي يتكلم عن نوح وابنائه : سام وحام ويافث . ومن سلالة سام تأتي أشور وأرام وعابر . وفيهم تذكر التوراة أنهم أسلاف الأشوريين والاراميين والعبرانيين . ومن هنا جاء لفظ الساميين لهذه الشعوب ، ولفظ السامية للغاتهم ''[٣] .

لكن فيليب حتى وآخرون يقولون : '' إن التفسير التقليدي والمألوف الذي يذهب إلى أن الساميين قد انحدروا من كبير أبناء نوح ــ سام ــ لا تؤيده الأبحاث العلمية الحديثة ''[٤] .

وتؤكد ذلك **دائرة المعارف البريطانية** ، إذ تقول : '' **ان التقويم التاريخي لأحداث العهد القديم قد صار ، لاعتبارات كثيرة ، أمرا غير موثوق منه** . **فقبل** قيام المملكة لم تكن الظروف تسمح بعمل تقويم تاريخي يعتمد عليه . **وفي واقع الأمر فإن تاريخ الأحداث القديمة قد أضيف بعد قرون عديدة من وقوعها ، ودرجة الدقة فيها مظهرية فقط** .. وحتى بعد تكوين المملكة فإن الأخطاء تسربت الى الأرقام بحيث صار الخطأ في تواريخ الأحداث نحو بضع عشرات من السنين .

فالتقويم التاريخي لأحداث الفترة القديمة التي تبدأ من خلق الانسان حتى خروج بني اسرائيل من مصر ، يعتمد على ما يعرف باسم روايات الكهنة لأسفار موسى الخمسة . ان الأرقام هنا في الغالب ــ ان لم تكن دائما ــ هي ارقام مصطنعة . ومن الملاحظات البارزة في هذا المجال ما نجده في اختلاف الأرقام بين كل من النسختين السامرية والاغريقية وبين النسخة العبرية ، وذلك بالنسبة للفترة من بدء الخلق حتى مولد ابراهيم ، اذ تنخفض الأرقام في النسخة السامرية بينما ترتفع في النسخة الاغريقية . فالنسخة العبرية تقدر للفترة من بدء الخلق حتى الطوفان ١٦٥٦ سنة ، بينما يبلغ تقديرها في النسخة السامرية ١٣٠٧ سنة ، وفي النسخة الاغريقية ٢٢٦٢ سنة .

---

(٣) المرجع ١٤ : ص ١٥ .

(٤)المرجع ٣ : ص ٨ .

كذلك تقدر النسخة العبرية للفترة من الطوفان حتى دعوة ابراهيم ٣٦٥ سنة بينما هي في النسخة السامرية ١٠١٥ سنة وفي النسخة الاغريقية ١١٤٥ سنة .

إن هذه الأرقام ترجع الى أصول بابلية ولكنها عديمة القيمة التاريخية . وحتى لو أخذنا بوجهة النظر التي تقدر عام ١٤٩١ ق. م. تاريخا لخروج بني اسرائيل من مصر ــ رغم أنه تاريخ مبكر أكثر من المحتمل ــ **فإن تاريخ بدء الخليقة يرجع الى عام ٤١٥٧ ق. م. حسب النسخة العبرية ، وإلى عام ٥٣٢٨ ق. م. حسب النسخة الاغريقية .. .**

لكن الآثار القديمة للمصريين والبابليين تؤكد ظهور الانسان على وجه الأرض لفترة طويلة من الزمن قبل أي من التاريخين المذكورين لبدء الخليقة .. ان الأرقام المذكورة في الاصحاحين الخامس والحادي عشر من سفر التكوين لا تبين سوى ما كان يتصوره كتبة الأسفار عن تواريخ تلك الأيام القديمة ،،[(٥)] .

* * *

وإذا فرضنا ــ جدلا ــ أن تاريخ بدء الخليقة كان عام ٥٣٢٨ ق. م. ــ وهو التاريخ الأكثر قدما ــ وأننا نعيش في عام ١٩٩٢ بعد الميلاد ، فان هذا يعني أن آدم خلق منذ ٧٣٢٠ سنة فقط .. ان هذا الزعم ينهار امام حقائق الكشوف العلمية والقياسات المعملية الدقيقة التي تؤكد ظهور الانسان على هذه الأرض قبل مآت الألوف من السنين .. .

الحقائق المؤكدة ــ إذن ــ تبين أنه لا يمكن الاعتماد على ما يقوله سفر التكوين من أنساب واحداث رئيسية تجعل شعبا أو قبيلة معينة ، تؤكد انتماءها الى سام بن نوح .. .

نحن ــ إذن ــ أمام خطأ شائع يتمثل في استخدام مصطلح السامية ، وما يشتق

---

(٥) المرجع ١٣ : ص ٥١٠ .

منه مثل : الساميين ، ومعاداة السامية . وهو المصطلح الذي لم يكن له وجود قبل نحو ٢٠٠ سنة .

ومع ذلك فسوف نستخدم مصطلح الساميين ليعني ــ كما هو شائع ــ اغلب شعوب منطقة الشرق الأوسط .

* * *

● **الساميون عرب :**

يقول موسكاتي : " إذا أخذنا بالتعريف الحديث لكلمة الشعب ، لوجدنا أنه مجموعة من الناس قد تتكون من عناصر وأجناس مختلفة لكنها تتجانس فيما بينهما ، وتكون شخصية لها خصائصها المميزة بسبب الموقع الجغرافي واللغة والعوامل التاريخية والثقافية .

فإذا طبقنا هذا المقياس ــ للشعب ــ على الشعوب المتكلمة باللغات السامية ، فانا نجد ان العامل الأول وهو الموقع الجغرافي قد تحقق فعلا حيث سكنت هذه الشعوب منطقة سامية واحدة هي شبه الجزيرة العربية ومناطق على هيئة أنصاف دوائر (أهلة) تحدها من الشمال (وادي الرافدين وسوريا) . ذلك أن مجموعات الشعوب التي سكنت هذه المنطقة موزعة حسب مناطق اقامتها كالآتي :

البابليون والأشوريون في بلاد الرافدين ، والاراميون والعبريون وغيرهم في سوريا ، ثم العرب في شبه الجزيرة العربية .

هذا مع العلم بان الأحباش في اثيوبيا يعتبرون نتيجة لاحدى الهجرات اليها من شاطيء الجنوب العربي ..

وبالنسبة للعامل الثاني وهو اللغة ، فرغم تعدد اللهجات السامية الا أنها جميعا متقاربة بدرجة كبيرة .. .

وإذا نظرنا إلى الحركة التاريخية لشعوب هذه المنطقة وعلاقاتها ببعضها أي الى العامل الثالث ، نجد أنها تسير في اتجاه واحد يتكرر على مر العصور ، وهو حركة هجرة من قلب شبه الجزيرة العربية الى المناطق المجاورة .. .

وعلى ذلك يمكننا تعريف الساميين بانهم سكان شبه الجزيرة العربية في أول عصور التاريخ ، وقد عاشوا في تجانس لغوي واجتماعي وعنصري ،،[٦] .

* * *

ويتفق فيليب حتى مع موسكاتي فيما انتهى اليه من أن الرأي الراجح هو أن شبه الجزيرة العربية تعتبر مهد الجنس السامي ، فهو يقول ، بعد استعراض هجرات الساميين من شبه الجزيرة العربية إلى وادي الرافدين وسوريا ، انه : ،، بمقارنة تاريخ الهجرات المذكورة آنفا ودراستها ، بدت لبعض علماء السامية الفكرة التي تقول بأن شبه الجزيرة العربية كانت على مدى أحقاب متعاقبة تبلغ الواحدة منها الف سنة تقريبا ، كخزان هائل يزدحم بالسكان امتلأ فلم يجد محيصا عن إفاضة ما زاد عن سعته .. .

ان العرب بين الشعبين الباقيين الذين يمثلان الجنس السامي ، قد احتفظوا اكثر من اليهود بالمميزات الطبيعية والخاصيات العقلية لهذا الجنس . وأما لغتهم (العربية) ، فعلى الرغم من انها أحدث اللغات السامية آدابا ، فانها قد احتفظت بخصائص اللسان السامي الأصلي ، بما في ذلك التصريف ، أكثر مما احتفظت العبرية واخواتها من اللغات السامية الاخرى . ومن هنا كانت اللغة العربية أحسن مدخل لدراسة اللغات السامية .. ولقد اصبحت لفظة : سامي ، في اوربا وامريكا ؛ تعني : يهودي ، قبل أي شيء آخر . ولعل مصدر ذلك هو كثرة انتشار اليهود في هاتين القارتين ،،[٧] .

* * *

ولاشك أن القول الشائع باعتبار أن لفظ : الساميين يعني اليهود ، انما يدل على جهل فاضح . فلو تصورنا أن اليهود ، وهم أصحاب العقيدة اليهودية ، يمثلون في نفس الوقت شعبا واحدا متجانسا نقيا ــ وهو فرض تلفظه الحقائق التاريخية

(٦) المرجع ١٤ : ص ٢٨ ــ ٢٩ ، ٤٢ .

(٧) المرجع ٣ : ص ٨ ، ١٣ .

والعلمية ــ لما عنى ذلك أكثر من اعتبارهم أحد الفروع الضئيلة لذلك الجنس الذي يقال له الجنس السامي .

* * *

الساميون في العراق القديم

● **الأكديون :**

يبدأ التاريخ المكتوب لأول شعب مستقر في الجزء الجنوبي من العراق القديم بوجود " السومريين عام ٢٦٠٠ ق. م. وقد تعايشت معهم شعوب أخرى ، منهم الساميون الذين تركزوا في منطقة اقتراب نهري دجلة والفرات حول مدينة اكشك وكيش قرب المكان الذي أقيمت عليه مدينة بابل فيما بعد .

وحوالي عام ٢٣٥٠ ق. م. قام في بلاد الرافدين أول عرش سامي نعرفه من مصادر مباشرة وهو عرش الأكدين الذي أسسه سرجون العظيم وأسس عاصمته أكد . ويقال أن هذا العمل جاء نتيجة لغزو سامي مباشر من الخارج ، بينما الرأي الراجح هو أن سرجون بعد أن حصل على وظيفة في خدمة أورزبابا ملك كيش ، فانه استطاع أن يخلعه عن العرش ويملك بدلا منه ، ثم أخذ على عاتقه اخضاع المنطقة السومرية . وقد أسس بذلك أول امبراطورية في وادي الرافدين ، وتغلب بذلك العنصر السامي واللغة السامية التي انتشرت طوال فترة العرش الأكدي حوالي قرنين من الزمان (٢٣٥٠ ــ ٢١٥٠ ق. م.) حتى شملت العراق القديم كله .

لكن هذا العرش السامي تعرض لغزو الجوتيين ، وهم شعب من القوقاز ، وقد استمر ذلك أكثر من قرن . وفي أثنائه انتعشت المدن واللغة السومرية "[٨] .

* * *

(٨) المرجع ١٤ : ص ٤٩ ــ ٥١ .

● **الأموريـون :**

تعرضت الحدود الغربية للعراق القديم " لضغط مستمر من أعراب شبه الجزيرة العربية ، تكلمت عنهم آثار الملوك ، وسموا بالأموريين أي : الغربيين . وقد يعني ذلك اسم قبيلة أو مجموعة قبائل سامية تخللت العراق . ثم نتج عن هذا الضغط والتداخل تأسيس عدة مدن و ولايات يغلب عليها العنصر السامي "[(٩)] . وكان من أهم هذه المدن أيسن التي أسسها الحاكم الأكدي لمدينة ماري ، وكذلك لارسه التي حكمها أحد الأموريين .

" وفي الفترة ما بين ٢١٠٠ ــ ١٨٠٠ ق. م. كانت أغلب دويلات هذه المدن تحت حكم الأموريين . وحوالي عام ١٨٣٠ ق. م. صارت مدينة بابل مركزا لدولة أمورية ، وكذلك مدينة أشور التي احتلها الأموريون حوالي ١٧٥٠ ق. م. وقد استطاع الأموريون أن يخلفوا الأكديين في الأجزاء الشمالية الغربية من العراق القديم ، كما تبين ذلك وثائق مدينة ماري التي اكتشفت في الفترة ٣٥ ــ ١٩٣٨ "[(١٠)] .

* * *

● **الأراميـون :**

" كذلك كان للأراميين ضلع في تاريخ العراق القديم ، كما تبين ذلك الوثائق التاريخية . فقد ورد اسم : ارام ، ليدل على مدينة أو ولاية في أحد نقوش الملك نارام سن الذي يرجع تاريخه إلى القرن الثالث والعشرين ق. م. كذلك ذكرت بعض اللوحات التي يرجع تاريخها إلى حوالي عام ٢٠٠٠ ق. م. اسم مدينة أو دويلة ارام ، وانها تقع قرب أشنونة على الجزء الجنوبي لنهر دجلة .

ويرجح أن هؤلاء الأراميين كانوا عربا رحلا ، تخللوا العراق القديم وأقاموا به مدنا ودويلات . وقد استطاعوا ان ينصهروا مع السكان الأصليين كعادتهم ، حتى

---

(٩) المرجع ١٤ : ص ٥٤ .

(١٠) المرجع ١٦ : ص ١٥٢ .

كان عام ٦٢٦ ق. م. حين استطاع قائد كلداني من أصل ارامي أن يستولى على الحكم ويعيد للساميين ما بدأه سرجون منذ أكثر من ألف وسبعمائة عام . وجدير بالذكر أن الاراميين غزوا سوريا كما غزوا العراق في نفس الفترة من التاريخ ،، (١١) .

* * *

وبناء على ما سبق ‚‚ يكون التكوين العام لاستيطان الساميين بلاد الرافدين مبنيا على عدة هجرات للشعوب السامية التي خرجت من شبه الجزيرة العربية . وقد حدثت تلك الهجرات في أزمان متفاوتة يفصل بعضها البعض مآت السنين إن لم تكن آلاف السنين . فحوالي ٢٥٠٠ ق.م. ظهر الأكديون ، ثم الأموريون في حوالي ٢٠٠٠ ق.م. ، ثم الاراميون في حوالي ١٢٠٠ ق.م. وفي كل مرة كان يصحب هذا الغزو السامي استيلاء على السلطة ،، (١٢) .

* * *

الساميون في سوريا الكبرى

● **الكنعانيـــون :**

‚‚ الرأي الراجح هو أن بدء ظهور الساميين في سوريا الكبرى كان حوالي عام ٣٠٠٠ ق. م. وقد سمي الغزاة بالكنعانيين . وتشير كلمة : كنعان ــ كما ظهرت في المراجع الأولى ــ إلى المنطقة الساحلية التي سميت فيما بعد : فينيقيا ، حسبما تبنيه الدراسة اللغوية .

فاللفظ الأكدي لكلمة كنعان ، يعني الارجوان ، تماما كالمعنى الذي تعطيه الكلمة الاغريقية : فينيك ، والتي اشتق منها اسم : فينيقيا . فلقد كانت صناعة صبغة الارجوان واحدة من أهم الصناعات التى تميزت بها هذه المنطقة .

(١١) المرجع ١٤ : ص ٦٦ ــ ٦٩ .

(١٢) المرجع ١٤ :ص ٧٢ ــ ٧٣ .

ان كلمة : كنعان ، التي كثر ترديدها في أسفار العهد القديم ، قد استخدمت لتدل على معنيين مختلفين : الأول ــ المنطقة الساحلية وسكانها ، وهي تعني تقريبا فينيقيا وسكانها الفنيقيين .

أما الثاني فهو ــ بوجه عام ــ المنطقة الواقعة غرب نهر الأردن ومستوطنيها من الشعوب قبل ظهور الاسرائيليين . ولقد صار هذا المعنى الاكثر شيوعا . ،،[١٣]

* * *

● الأموريون :

،، تشير مراجع مدينة ماري الى أنه حوالي عام ٢٠٠٠ ق. م. كانت بعض الممالك في الجزء الشمالي من سوريا ذات طابع مماثل لنظيرتها التى ظهرت في العراق القديم ، ونسبت الى الغزاة الغربيين*أو الأموريون . ويرجح انتشار هذه الممالك الأمورية في الاجزاء الجنوبية من سوريا ، والتي تشمل فلسطين ، كما ظهر من تلك المراجع ومن بعض المصادر المصرية القديمة ،،[١٤] .

* * *

● الاراميون :

،، وكما تخلل الاراميون العراق القديم فانهم تخللوا سوريا كذلك . وازدهر حينئذ عدد من دويلات المدن مثل دمشق وحماه وحلب . وبجانب الاراميين في سوريا ، وخاصة في جزئها الجنوبي فلسطين ، فقد عاشت مجموعات من الشعوب الاخرى منهم : المديانيون ، والأدوميون ، والموآبيون ، والعمونيون وغيرهم .

ولقد كان لهذه الشعوب فضل السبق على الاسرائيليين في المجال السياسي ، إذ استطاعت تلك الشعوب أن تقيم لها ممالك كانت قوة سياسية وتنظيمية قاتلت

---

(١٣) المرجع ١٤ : ص ٨٠ ــ ٨٤ .

(١٤) المرجع ١٤ : ص ٨٤ ــ ٨٥ .

الاسرائيليين الذين استغرقوا وقتا طويلا لكي يوحدوا صفوفهم ويقيموا لهم مملكة . ويجب الاعتراف بان الضغط الذي عاناه الاسرائيليون من الممالك المجاورة كان أحد الدوافع الرئيسية من أجل اقامة مملكة لهم ،،[١٥] .

* * *

وبناء على ما سبق ،، يكون استيطان الساميين في سوريا الكبرى قد تمثل في ثلاث هجرات تفصل كل واحدة عن الأخرى عدة قرون : الأولى — هجرة الكنعانيين حوالي عام ٣٠٠٠ ق. م. ، والثانية — هجرة الاموريين حوالي عام ٢٠٠٠ ق. م. ، ثم الثالثة — هجرة الاراميين وبعض الأقليات الاخرى في حوالي عام ١٢٠٠ ق. م. ،،[١٦] .

* * *

الساميون في شبه الجزيرة العربية

عرفنا مما سبق ان شبه الجزيرة العربية تعتبر مهد الساميين ، وأنها كانت تمثل خزانا بشريا هائلا يفيض كل بضعة قرون فيلقى إلى حدوده البعيدة بمجموعات من المهاجرين . ولقد عرفنا منهم في العراق القديم : الاكديين والاموريين والاراميين ، كما عرفنا منهم في سوريا الكبرى : الكنعانيين والاموريين والاراميين ، بجانب الميديانيين والموآبيين والعمونيين وغيرهم . على أن هناك شعوبا سامية أخرى بقيت في شبه الجزيرة العربية — الوطن الأم — وتركت آثارا ونقوشا تشير إلى بقايا حضارة قديمة . وفي هذا يقول موسكاتي : ،، ابتداء من حوالي القرن الخامس قبل الميلاد بدأ يظهر على الحوائط الصخرية في شبه الجزيرة العربية آلاف من النقوش ، هي عبارة عن كتابة للغة الشمال بحروف لغة الجنوب العربي ، ذلك أن كلا من اللغة والحروف التي تكتب بها تختلف من مكان الى آخر ، إلا أنها تكون بوجه عام وحدة مترابطة .

---

(١٥) المرجع ١٤ : ص ٩٦ — ٩٧ .

(١٦) المرجع ١٤ : ص ١٠١ — ١٠٢ .

وتؤكد ذلك الاكتشافات الحديثة وخاصة بعثة ريكمنز . وتعرف هذه النقوش المنتشرة في وسط شبه الجزيرة العربية وشمالها بالنقوش الثمودية ، وذلك نسبة الى قبيلة ثمود التي تكلم عنها القرآن ، وكما هو مذكور ايضا ضمن هذه النقوش ذاتها .

ولقد أدت انتشار النقوش الثمودية في شبه الجزيرة العربية إلى قيام حوار بين العلماء عما اذا كانت ثمود قبيلة واحدة أم مجموعة من القبائل تحمل ذلك الاسم وتستخدم تلك اللغة .

وعلى أي حال ، فان انتشار النقوش الثمودية على تلك الصورة ، انما يدل على وجود وحدة ثقافية وفكرية سادت بين قبائل تلك المناطق لفترة من الزمن ''[١٧] .

* * *

ويذكر فيليب حتى ما هو معروف من تقسيم عرب شبه الجزيرة الى فرعين هما :

'' أولا ــ العرب البائدة ، ومنهم عاد وثمود ، وقد ورد ذكرهم في القرآن .

ثانيا ــ العرب الباقية .

وثمود قوم عرفهم التاريخ ، فقد ذكرتهم الخطوط الاسفينية في مدونات سرجون الثاني ، وعرفهم أيضا كتاب اليونان والرومان باسم ثموداى . والتحق بجيش بيزنطة ، في القرن الخامس للميلاد ، فيلق من الخيالة الثمودية أما بنو عاد فقيل انهم سكنوا حضرموت القديمة ''[١٨] .

* * *

ويقول سيديو : '' استقر بنو قحطان باليمن ، فأقاموا دولة سبأ ودولة حمير .. وكان أهل المدن في اليمن يتكلمون بلغة حمير التي تعلمها بنو قحطان من اجدادهم . وكان ظهور العرب المستعربة بعد بني قحطان بزمن طويل .. وإذا

---

(١٧) المرجع ١٤ : ص ١٢٥ ــ ١٢٦ .
(١٨) المرجع ٣ : ص ٣٩ .

عدوت بني قحطان وبني اسماعيل ، وجدت بلاد العرب تشتمل في سالف الأزمان على بقية من العروق الفطرية تغشى أخبارها طبقة كثيفة من الغموض . وكل ما يعلم أو يفترض هو أن قوم عاد جابوا ـــ غالبين ـــ بقيادة شداد ولقمان بلاد العراق والهند قبل الميلاد بأكثر من ألفي سنة .. واستولوا على مصر في ذلك الحين باسم الرعاة أو الهكسوس ..

ويظهر أن العمالقة ، الذين يعدون من فصيلة الهكسوس ، قد انتشروا فى العصور الخالية في جميع اجزاء بلاد العرب وكانت خاتمة الطواف أن تجمعوا في شمال جزيرة العرب مع الأدوميين والموآبيين والعمونيين ، واستولوا على سهول بلاد العرب الصحراوية المجاورة لفلسطين وسوريه ، فحالوا دون دخول العبريين (الاسرائيليين) ارض كنعان . ،، [١٩] .

* * *

●**فلسطين عربية منذ فجر التاريخ :**

الآن ، وبعد أن قمنا بهذه الجولة الخاطفة التي القينا فيها نظرات سريعة وفاحصة على شعوب الشرق الاوسط القديم وحركتها منذ فجر التاريخ ، فإن خلاصة القول في هذا الموضوع تقرر أن شبه الجزيرة العربية هي الوطن الأم الذي غذى منطقة الشرق الاوسط بالقوى البشرية على مر العصور . وبصرف النظر عما يثار من جدل حول صحة الأنساب التي يذكرها سفر التكوين عن نوح وأبنائه سام وحام ويافث ، فلا شك ان شعوب شبه الجزيرة العربية هي شعوب عربية ، سواء ما استقر فيها أو ما كانت تقذف به بين الحين والحين الى حدودها الشمالية ، الشرقية والغربية . وبدهى أن منطقة الشرق الاوسط التي اتسعت لهذه الشعوب واصطبغت بصبغتها ، إنما هي منطقة عربية خالصة ، لا تظهر فيها العناصر الغريبة إلا على الصورة التي تظهر بها النباتات الطفيلية وسط المساحات الواسعة من الحقول الزراعية .

وما دام الأمر كذلك ـــ وانه لكذلك ـــ فلا مفر من التسليم بأن فلسطين عربية منذ فجر التاريخ حتى اليوم ، ومن قبل أن يظهر فيها الاسرائيليون ومن بعد أن ظهروا على أرضها ثم جلوا عنها في شتاتهم الطويل .

---

(١٩) المرجع ٤ : ص ٢٣ ، ٣٥ .

وما الاسرائيليون في حقيقتهم ـــ منذ عرف لهم اسم ـــ إلا شعب هجين ، يقول فيه وحي الرب على لسان حزقيال النبي : " هكذا قال السيد الرب لأورشليم : **أبوك اموري ، وأمك حثية ـــ** حزقيال ١٦ : ٣ " .

وما الدور الذي لعبه الاسرائيليون على مسرح فلسطين بأكثر أهمية من الدور الذي يلعبه أحد الممثلين على مسرح يقدم مسلسلات تاريخية، حتى ولو كان ذلك الممثل بطل إحدى المسرحيات في وقت من الأوقات . ففي جميع الأحوال لا يحق لهذا الممثل أن يطالب بامتلاك المسرح واغتصاب ايراداته . فما بالنا إذا كان هذا الممثل قد أقصى عن المسرح منذ زمن بعيد ، ولم تبق له من علاقة به سوى ذكرى تعلق بالخيال .. .



ابراهيم وأرض الموعد

● **ابراهيم يستوطن أرض كنعان :**

يخبرنا كتبة أسفار موسى أن ابراهيم وابن أخيه لوطا وتابعيهما " أتوا الى أرض كنعان . واجتاز ابرام في الأرض إلى مكان شكيم .. وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض .

وظهر الرب لابرام وقال : **لنسلك أعطي هذه الأرض —**
تكوين ١٢ : ٦ — ٧ " .

بعد ذلك تخبرنا الأسفار ان اقامة ابراهيم في أرض كنعان كانت نتيجة لرغبة لوط ابن أخيه في الاقامة بالأردن . فلقد حدثت مخاصمة بين رعاة كل منهما ، اضطر معها ابراهيم الى التدخل حتى يضمن حسن العلاقة مع ابن أخيه .. من أجل ذلك اقترح ابراهيم على لوط أن يختار من الأرض ما يشاء ، وآنذاك سيرحل عنها ابراهيم الى أرض أخرى . فاختار أرضا خصبة في الأردن ، تكسوها الخضرة والزروع المثمرة كمصر جنة الله في أرضه :

" قال ابرام للوط لا تكن مخاصمة بيني وبينك .. اليست كل الأرض أمامك . اعتزل عني . ان ذهبت شمالا فأنا يمينا ، وان ذهبت يمينا فأنا شمالا . **فرفع لوط عينيه ورأى كل دائرة الاردن ان جميعها سقى .. كجنة الرب كأرض مصر .. فاختار لوط لنفسه كل دائرة الاردن وارتحل لوط شرقا ،** فاعتزل الواحد عن الآخر .

ابرام سكن في أرض كنعان ولوط سكن في مدن الدائرة ونقل خيامه الى سدوم ــ تكوين ١٣ : ٨ ــ ١٢ ".

* * *

● **العهد الالهي :**

بعد ان استقر ابراهيم في أرض كنعان ، جاءه وعد الهي بأن تكون له ولنسله تلك الأرض . وحتى ذلك الوقت كان نسل ابراهيم بظهر الغيب ، إذ أنه ما زال عقيما :

" وقال الرب لابرام بعد اعتزال لوط عنه . ارفع عينيك وانظر من الموضع الذي انت فيه شمالا وجنوبا وشرقا وغربا . **لأن جميع الأرض التي انت ترى أعطيها لك ولنسلك الى الأبد .**

واجعل نسلك كتراب الأرض . حتى إذا استطاع أحد أن يعد تراب الأرض فنسلك أيضا يعد . قم امش في الأرض طولها وعرضها لأني لك أعطيها . فنقل ابرام خيامه وأتى وأقام عند بلوطات ممرا التي في حبرون ــ تكوين ١٣ : ١٤ ــ ١٨ ".

* * *

ثم جاء وحي الله لابراهيم في الرؤيا يبشره بذرية كثيرة ، ويقطع معه ميثاقا :

" بعد هذه الأمور صار كلام الرب الى ابرام في الرؤيا قائلا . لا تخف يا ابرام أنا ترس لك . فقال ابرام : أيها السيد الرب . ماذا تعطيني وأنا ماض عقيما .. انك لم تعطني نسلا .. فإذا كلام الرب اليه قائلا : **الذي يخرج من أحشائك هو يرثك** .

ثم اخرجه الى خارج وقال : **انظر الى السماء وعد النجوم** ان استطعت أن تعدها . وقال له : **هكذا يكون نسلك** .. .

في ذلك اليوم قطع الرب مع ابرام ميثاقا قائلا : **لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات** ــ تكوين ١٥ : ١ ــ ١٨ ".

ومن المعلوم أن العهد أو الميثاق انما يكون شريعة بين طرفين أو أكثر ، يحدد لكل موقفه من الآخر بالنسبة لما تم توثيقه والتعاقد عليه .

وواضح أن ارض الموعد هنا يقصد بها مساحة تمتد من نهر الفرات شرقا **إلى نهر مصر غربا ، وهذا الاخير هو ما يعرف باسم : وادي العريش** . وهو مجرى (خور) يسير فيه الماء أثناء المطر .

ولقد أردت من هذا الاستطراد أن أزيل كل لبس قد يحدث عند الكلام عن " **نهر مصر** " ، حتى لا يفهم أحد ـــ خطأً ـــ أن المقصود هو نهر النيل ، إذ لا علاقة اطلاقا بين الاثنين سوى اشتركهما في كلمة : نهر .

* * *

● **تحقق البشرى بمولد اسماعيل :**

تزوج ابراهيم من هاجر المصرية ، التي ما أن حملت منه حتى دبت الغيرة في قلب زوجته الأولى سارة ، فاضطهدتها حتى " هربت من وجهها . فوجدها ملاك الرب على عين الماء في البرية .. .

وقال لها ملاك الرب : تكثيرا أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة .

وقال لها ملاك الرب : ها أنت حبلى فتلدين ابنا وتدعين اسمه اسماعيل لأن الرب قد سمع لمذلتك . وانه يكون انسانا وحشيا .. وأمام جميع **اخوته** يسكن .. .

فولدت هاجر لابرام ابنا ، ودعا ابرام ابنه الذي ولدته هاجر اسماعيل **وكان ابرام ابن ست وثمانين سنة** ـــ تكوين ١٦ : ٦ ـــ ١٦ " .

* * *

● **تجديد العهد :**

بعد مولد اسماعيل بثلاثة عشر عاما ، جاء الوحي لابراهيم يجدد له العهد ،

ويقرر الختان علامة للميثاق ، لا يبطلها الا من تحلل من عهد الله، فاستحق بذلك القتل :

" ولما كان ابرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب لابرام وقال له :
أنا الله القدير . سر أمامي وكن كاملا . فأجعل عهدي بيني وبينك وأكثرك كثيرا جدا . . .

وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهدا أبديا ، لأكون الها لك ولنسك من بعدك .

وأعطى لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك ، كل أرض كنعان ملكا أبديا وأكون آلههم .

وقال الله لابراهيم . وأما أنت فتحفظ عهدي أنت ونسلك من بعدك . يختن منكم كل ذكر فتختنون في لحم غرلتكم ، فيكون علامة عهد بيني وبينكم . وأما الذكر الأغلف الذي لا يختن فى لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها . إنه قد نكث عهدي .

وقال الله لابراهيم ساراى امرأتك لا تدعو اسمها ساراى بل اسمها سارة واباركها وأعطيك أيضا منها ابنا .. .

فأخذ ابراهيم اسماعيل ابنه وجميع ولدان بيته .. وختن لحم غرلتهم ..

وكان ابراهيم ابن تسع وتسعين سنة حين ختن .. وكان اسماعيل ابن ثلاثة عشر سنة حين ختن ــ تكوين ١٧ " .

ويمكن اجمال عناصر العهد الالهي لابراهيم في الآتي :
١ ــ عهد الله بين ابراهيم وبين نسله من بعده ، ان يكون الخالق العظيم لهم ربا وإلّها ، له عليهم حق العبادة والسلوك حسب شريعته ، ومن ثم يكونون عبيده الذين ينعمون بشرف التعامل معه ويتقلبون في نعمائه .

٢ ــ **وبناء على ذلك فقد اعطى الله ارض كنعان لابراهيم ولنسله من بعده . وهنا نلاحظ أن أرض الموعد تقل كثيرا هذه المرة عما سبق ترديده من قبل من أنها الأرض التي تمتد من نهر الفرات شرقا الى نهر مصر (وادي العريش) غربا . وعلى ذلك فسوف تكون مناقشتنا لأرض الموعد باعتبارها أرض كنعان فقط ، ولا شيء اكثر من ذلك .**

٣ ــ وقد جعل الختان علامة للعهد بين الله وبين ابراهيم ونسله الذي سيكون **شعوبا كثيرة مثل نجوم السماء ، وليس شعبا واحدا ضئيل العدد . وكان اسماعيل هو أول نسل ابراهيم الذي صدقت فيه البشرى وصدق فيه حفظ العهد .**

* * *

● نســل ابراهــيم :

عرفنا مما سبق ان ابراهيم رزق بولده البكر اسماعيل من زوجه هاجر وكان عُمر ابراهيم آنذاك ٨٦ سنة . كذلك رزق ابراهيم بولده الثاني اسحق من زوجه سارة وكان عمره آنذاك ١٠٠ سنة .

أي ان اسماعيل كان الابن الوحيد في حياة ابيه ابراهيم ــ والذي كان يحبه كل الحب ولا شك ــ لمدة ١٤ سنة .

ثم اتخذ ابراهيم زوجة ثالثة تدعى قطورة ، انجب منها أبناء كثيرين ، كانوا آباء لقبائل وشعوب استقرت في فلسطين والأردن وشبه الجزيرة العربية ، وكان منهم المديانيون الذين أصهر اليهم موسى . تقول الأسفار : '' وعاد ابراهيم فأخذ زوجة اسمها قطورة فولدت له : زمران ويقشان ومدان ومديان ويشباق و شوحا . وولد يقشان شبا وددان .

وكان بنو ددان اشوريم ولطوشيم ولأميم .

وبنو مديان عيفه وعفر وحنوك وابيداع والدعة .
جميع هؤلاء بنو قطورة ــ تكوين ٢٥ : ١ ــ ٤ .

كذلك كان لابراهيم سرارى ، أنجب منهن نسلا يحمل اسمه ويشارك في مجده : " أما بنو السرارى اللواتي كانت لابراهيم فأعطاهم ابراهيم عطايا وصرفهم عن اسحق ابنه شرقا إلى أرض المشرق وهو بعد حي ــ تكوين ٢٥ : ٦ " .

هذا هو نسل ابراهيم الذي قال له الرب في شأنه ، وهو بعد بظهر الغيب : " **لِنسلك أعطى هذه الأرض** " .

ولا يمكن ــ اذن ــ قبول أي زعم اسرائيلي يريد أن يخالف الحقائق الواضحة فيحاول أن يحصر " الوعد الالهي " في القبيلة الاسرائيلية ويطرد من عداهم . فلدينا شواهد كثيرة تبطل مثل هذا الزعم ، بل وتبين بوضوح أن اسماعيل كان الشغل الشاغل لأبيه ابراهيم حتى نهاية حياته . ونذكر من ذلك :

١ ــ بعد ثلاثة عشر عاما من مولد اسماعيل ، ظهر الرب لابراهيم يؤكد له العهد ويجعل الختان علامة له ويبشره باسحق وليدا من سارة . ولقد اغتنم ابراهيم تلك الفرصة فدعا الله أن يكلأ اسماعيل برعايته . وقد استجاب الله له ووعده خيرا في اسماعيل :

" قال الله لابراهيم ساراى امرأتك .. أباركها واعطيك **أيضا** منها ابنا ..
وقال ابراهيم : ليت اسماعيل يعيش أمامك .
فقال الله .. قد سمعت لك فيه ــ تكوين ١٧ : ١٥ ــ ٢٠ " .

٢ ــ وبعد أن ولدت سارة اسحق فانها حرضت ابراهيم على طرد هاجر وابنها اسماعيل . ومع ان ابراهيم كان له آنذاك ولدان ــ اسماعيل واسحق ــ وكان يمكن ان يتعزى بولده اسحق حين يفارقه اسماعيل ، الا أن كلام سارة أغضبه كثيرا وساءه أشد الاستياء :

" ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذي ولدته لابراهيم يمزح . **فقالت** اطرد هذه الجارية وابنها . **لأن ابن الجارية لا يرث مع ابنى اسحق .. فقبح الكلام جدا في عينى ابراهيم لسبب ابنه** ــ تكوين ٢١ : ٩ ــ ١١ " .

٣ ــ يذكر **التلمود** شذرات عن حياة اسماعيل وعلاقته بأبيه الذي كان يتردد على

بيت ابنه في موطنه البعيد ــ في بلاد العرب ــ بين الحين والحين ، ليطمئن عليه ويقوم أمر بيته حين يرى به عوجا . وفي هذا يقول التلمود :

" لقد عاش اسماعيل مع أمه فترة من الزمن في برية فاران ، ثم رحلا الى مصر حيث تزوج اسماعيل وانجب هناك أربعة أولاد وبنتا واحدة . لكنه سرعان ما عاد الى البرية موطنه المفضل ، حيث بنى الخيام لنفسه ولعائلته وشعبه . فقد باركه الله وجعله مالكا للكثير من قطعان الماشية والأغنام .

وحدث بعد عدة سنوات ان استسلم ابراهيم لرغبة كانت تتملكه دائما لزيارة ابنه ، فأخبر سارة بذلك ثم بدأ رحلته على جمل .

ولما وصل الى مسكن ابنه اسماعيل وجده خارجا يصطاد ووجد زوجته التي لم تكن تعرف حماها ، فعاملته بجفاء ورفضت تقديم الماء والطعام اليه . فقال لها ابراهيم : عندما يعود زوجك ، صفي له مظهري ثم قولي له : جاءنا رجل عجوز من أرض الفلسطينيين ، وهو يطلب منك أن تستبدل وتد خيمتك بآخر أصلح منه ، ثم ركب ابراهيم دابته وانصرف .

ولما عاد اسماعيل وقصت عليه زوجته الخبر ، أيقن أن الزائر كان اباه ابراهيم ، وإن زوجته لم تحسن معاملته ، فطلقها وتزوج بأخرى " [٢١] .

ويذكر التلمود أن هذه القصة تكررت ثانية بعد ثلاث سنوات ، ولكن في تلك المرة كانت زوجة اسماعيل الجديدة كريمة مع حماها . ولما رجع اسماعيل الى بيته وعلم بما حدث وأن ذلك الشيخ الزائر ــ أباه ــ ترك له رسالة تقول : وتد خيمتك صالح وجدير بالتقدير والاحترام ، فانه سر كثيرا بزوجته ثم " أخذها وعائلته وسافر لزيارة والده . وبقوا معه هناك في أرض فلسطين عدة أيام " .

لاشك أن القصة على هذا النحو ــ كما ذكرها التلمود ــ تعطي دلالات هامة منها :

(٢١) المرجع ١٧ : ص ٥٣ ــ ٥٤ .

ـــ أن ابراهيم كان شديد التعلق بابنه اسماعيل ، رغم استقرار حياته مع سارة وابنها اسحق ، وكان اسماعيل هو الابن المقرب الى قلب ابيه .

ــ وأن موطن اسماعيل كان في الصحراء العربية حيث الجمل وسيلة الانتقال الرئيسية ، وأن مساكنه كانت بعيدة عن فلسطين بحيث لو ظهر فيها رجل هيئته كهيئة الفلسطينيين لكان ذلك الرجل غريبا عن تلك الديار .

ــ إن اسماعيل هو الشخص الوحيد الذي يمكن ان ينطبق عليه قول الله لأبيه ابراهيم ، قبل مولد ابنه الثاني اسحق ، بماء جاء في هذه العبارة :

'' **ابنك وحيدك الذي تحبه** '' .

٤ ــ إن رغبة سارة في حرمان اسماعيل من ميراثه في أبيه إنما هي رغبة جامحة تتسم بالظلم والعدوان ، يرفضها ذوو الضمائر السليمة واولهم إبراهيم الذي وصفت الأسفار موقفه آنذاك بقولها : '' قبح الكلام جدا في عينى إبراهيم لسبب ابنه '' اسماعيل .

وهي رغبة ترفضها شريعة الرب التي جاء بها موسى لبني اسرائيل فيما بعد ، والتي تقول :

'' إذا كان لرجل امرأتان : أحدهما محبوبة والأخرى مكروهة ، فولدتا له بنين ، المحبوبة والمكروهة . فإن كان الابن البكر للمكروهة ، **فيوم يقسم لبنيه ما كان له ، لا يحل له أن يقدم ابن المحبوبة بكرا على ابن المكروهة البكر** . بل يعرف ابن المكروهة بكرا ليعطيه **نصيب اثنين** من كل ما يوجد عنده ، لأنه هو أول قدرته ، له حق البكورية ــ تثنية ٢١ : ١٥ ــ ١٧ '' .

٥ ــ ومن قبل أن تنزل التوراة على موسى ، فان يعقوب قد تزوج الأختين : ليئة وراحيل ، كما تزوج ــ بطريقة تناظر زواج ابرلهيم من هاجر ــ جاريتهما : زلفة وبلهة . ومن هؤلاء النسوة الأربع جاء بنو اسرائيل الذين اشتركوا جميعا في بناء الكيان الاسرائيلي ، دون تفرقة بين من يسمون بنو الحرة ، وبنو الجارية ، **وهم الذين اقتسموا أرض كنعان ــ فيما بعد ــ أيام يشوع** :

" فلما رأت راحيل انها لم تلد ليعقوب .. أعطته بلهة جاريتها زوجة . فدخل عليها يعقوب فحبلت بلهة وولدت ليعقوب ابنا .. دعت اسمه دانا .. وولدت ابنا ثانيا ليعقوب .. دعت اسمه نفتالي .

ولما رأت ليئة إنها توقفت عن الولادة أخذت زلفه جاريتها وأعطتها ليعقوب زوجة فولدت زلفة .. ليعقوب ابنا .. دعت اسمه جادا .. وولدت ابنا ثانيا ليعقوب .. دعت اسمه أشير — تكوين ٣٠ : ١ — ١٣ " .

وعلى ذلك فان أي محاولة لحصر ميراث ابراهيم — الروحي والمادي — في ولده اسحق وذريته مع تجريد اسماعيل وبنيه ، وأبناء ابراهيم الآخرين ، من ذلك الميراث ، إنما هو تعصب ظالم من صنع البشر وتحريف لنصوص الأسفار المقدسة وخداعٍ باسم الدين .

ويذكرنا ذلك بما سطره كتبة الاسفار عن خداع يعقوب لأبيه اسحق ، من أجل سرقة البركة التي كانت ستكون من نصيب أخيه التوأم عيسو . وقد خططت لتلك المؤامرة أمهما رفقة التي كانت تحب يعقوب أكثر من عيسو وفي هذا تقول الأسفار :
" كان عيسوا إنسانا يعرف الصيد ، انسان البرية ويعقوب انسانا كاملا يسكن الخيام . فأحب اسحق عيسو لأن في فمه صيدا . وأما رفقة فكانت تحب يعقوب .. .

" وحدث لما شاخ اسحق وكلت عيناه عن النظر أن دعا عيسو ابنه الأكبر وقال له .. إنني قد شخت ولست اعرف يوم وفاتي . فالآن خذ عدتك .. واخرج الى البرية وتصيد لي صيدا . واصنع لي أطعمة كما أحب واتني بها لآكل حتى تباركك نفسي قبل أن أموت .

وكانت رفقة سامعة إذ تكلم اسحق مع عيسو ابنه . فذهب عيسو الى البرية كي يصطاد صيدا ليأتي به . وأما رفقة فكلمت يعقوب ابنها قائلة اني

قد سمعت اباك يكلم عيسو أخاك .. فالآن يا ابني اسمع لقولي في ما أنا آمرك به . اذهب الى الغنم وخذ لي من هناك جديين جيدين من المعزى فاصنعهما أطعمة لأبيك كما يحب . **فتحضرها الى أبيك ليأكل حتى يباركك قبل وفاته .**

فقال يعقوب لرفقة أمه : هوذا عيسو أخي رجل أشعر وأنا رجل أملس . ربما يجسني أبي فأكون في عينيه كمتهاون وأجلب على نفسي لعنة ، لا بركة .. فذهب وأخذ وأحضر لأمه فصنعت أمه أطعمة .. وأخذت رفقة ثياب عيسو ابنها الاكبر الفاخرة .. والبست يعقوب ابنها الصغير . والبست يديه وملاسة عنقه جلود جديي المعزى . واعطت الأطعمة والخبز التي صنعت في يد يعقوب ابنها .

فدخل الى أبيه .. فقال اسحق ليعقوب تقدم لأجسك يا ابني .. فجسه وقال الصوت صوت يعقوب ولكن اليدين يدا عيسو .. فباركه .. فقدم له فأكل وأحضر له خمرا فشرب.. فقال له اسحق أبوه : ليعطك الله من ندى السماء ومن دسم الأرض .. **ليستعبد لك شعوب وتسجد لك قبائل** . كن سيدا لأخوتك ليكن لاعنوك ملعونين ومباركوك مباركين .

وحدث عندما فرغ اسحق من بركة يعقوب ، ويعقوب قد خرج من لدن اسحق أبيه ، أن عيسو أخاه أتى من صيده . فصنع أطعمة ودخل بها الى أبيه .. فقال له اسحق ابوه : من أنت ؟ فقال انا ابنك بكرك عيسو . **فارتعد اسحق ارتعادا عظيما جدا** . وقال فمن هو الذي اصطاد صيدا وأتى به إلّي فأكلت .. قبل أن تجيء **وباركته** .. فعندما سمع عيسو كلام أبيه صرخ صرخة عظيمة ومرة جدا . وقال لأبيه باركني أنا أيضا يا أبي .

فقال قد جاء أخوك بمكر وأخذ بركتك ــ تكوين ٢٧ : ١ ــ ٣٥ " .

إن كل مؤمن عاقل يعلم يقينا أن **البركة من الله** وليس من بني الانسان

مهما كانوا اتقياء أو صالحين .. فهي بركة يستحيل سرقتها أو التحايل من أجل اغتصابها .. فكل محاولة لحصر ما وعد الله به ابراهيم في حفيده يعقوب وبنيه ، واستبعاد نسله الآخرين ، انما هي تزوير مفضوح .

* * *

● **حقيقة مفهوم الوعد بالأرض :**

عاش ابراهيم في فلسطين غريبا بين سكانها ومالكيها الأصليين ، لم يمتلك فيها موضع قدم . حتى إذا فاجأه موت زوجه سارة ، انطلق يبحث عن مقبرة يمتلكها ليواري جثمان زوجه وموتى بيته من اللاحقين . وفي هذا كلم ابراهيم بنى حث ليشترى منهم مقبرة ، لكنهم لما كانوا يوقرونه كرجل صالح يعيش بينهم ، فقد فوضوه أن يختار أفضل مقابرهم هبة منهم دون مقابل .

" أتى ابراهيم ليندب سارة ويبكي عليها وقام ابراهيم من أمام ميته وكلم بني حث قائلا : **أنا غريب ونزيل عندكم** . أعطوني ملك قبر معكم أدفن ميتي من أمامي .

فأجاب بنو حث ابراهيم قائلين له . اسمعنا يا سيدي ، أنت رئيس من الله بيننا . في أفضل قبورنا ادفن ميتك . لا يمنع أحد منا قبره عنك حتى لا تدفن ميتك . فقام ابراهيم وسجد لشعب الأرض لبني حث وكلمهم قائلا .. التمسوا لي من عفرون بن صوحر أن يعطيني مغارة المكفيلة التي له التي في طرف حقله بثمن كامل .

فأجاب عفرون الحثى ابراهيم .. قائلا : لا ياسيدي . اسمعني . الحقل وهبتك اياه ، والمغارة التي فيه لك وهبتها .. ادفن ميتك .. .

فسجد ابراهيم أمام شعب الأرض وكلم عفرون قائلا .. اعطيك ثمن الحقل . خذ مني فأدفن ميتي هناك .. **ووزن ابراهيم لعفرون الفضة التي ذكرها في مسامع بني حث . أربع مئة شاقل** ـــ تكوين ٢٣ : ٢ ـــ ١٦ " .

تلك هي القصة الكاملة لامتلاك ابراهيم موطئا لموتاه في أرض الموعد ـــ أرض كنعان ـــ إن صح اعتبار مقابر الموتى ملكا يتوارثه الأحياء ويتنازعون امتلاكه .

* * *

إن أسفار العهد القديم تقرر أن ابراهيم تلقى وعودا ألهية ، واضحة كل الوضوح ، بأنه شخصيا سوف يمتلك أرض كنعان ، هذا بالاضافة إلى تملك نسله لها ملكا أبديا . ويحسن بنا أن نعيد كتابة هذه النصوص مرة أخرى :

'' قال الرب لابرام بعد اعتزال لوط عنه . ارفع عينيك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالا وجنوبا وشرقا وغربا ، لأن جميع الأرض التي أنت ترى : **لك اعطيها** ، ولنسلك إلى الأبد .. .

قم امش في الارض طولها وعرضها لأني **لك أعطيها** '' .

'' ولما كان ابرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب لابرام وقال له : أنا الله القدير . سر أمامي وكن كاملا ، فأجعل عهدي بيني وبينك واكثرك كثيرا جدا .. **واعطي لك** ولنسلك من بعدك ارض غربتك ، **كل أرض كنعان** ملكا أبديا .

ولقد عرفنا مما سبق ان نصيب ابراهيم من أرض كنعان لم يكن سوى مقبرة للموتى اشتراها بماله الخاص ، بعد مفاوضات مع مالكها الأصلي . وبذلك تؤكد الاسفار ان ابراهيم لم يمتلك في فلسطين ـــ أرض كنعان ـــ شيئا يستفيد منه الأحياء .

ويتفق هذا القول وهذا المفهوم مع تقوله **اسفار العهد الجديد** :

'' ظهر إله المجد لأبينا ابراهيم ، وقال له اخرج من أرضك ومن عشيرتك وهلم الى الأرض التي أريك . فخرج حينئذ من أرض الكلدانيين وسكن في حاران ، ومن هناك نقله بعدما مات أبوه الى هذه الأرض التي أنتم ساكنون فيها (فلسطين) . **ولم يعطه فيها ميراثا ولا وطأة قدم** ـــ أعمال الرسل ٧ : ١ ـــ ٥ '' .

وكذلك كان الحال مع اسحق بن ابراهيم ، إذ تقول الأسفار : '' ظهر له الرب وقال لا تنزل الى مصر .. تغرب في هذه الأرض (فلسطين) فاكون معك وأباركك . **لأني لك** ولنسلك أعطي جميع هذه البلاد ـ تكوين ٢٦ : ٢ ـ ٣ '' .

لكنا نعلم من الأسفار كذلك ان اسحق قد عاش في أرض كنعان غريبا متجولا ، لم يمتلك فيها موضع قدم . وكانت ثروته تتركز في المواشي والعبيد وما تغله الأرض التي يزرعها من محاصيل . ولأن اسحق لم يتملك من الأرض شيئا فقد تعرض للطرد والأذى من جانب سكانها الأصليين :
'' وزرع اسحق في تلك الأرض فأصاب في تلك السنة مئة ضعف .. فحسده الفلسطينيون .. وجميع الآبار التي حفرها عبيد أبيه ابراهيم طمـها الفلسطينيون وملأوها ترابا . وقال ابيمالك لاسحق : **اذهب من عندنا لأنك صرت اقوى منا جدا . فمضى اسحق ونزل في وادي جرار واقام هناك** ـ تكوين ٢٦ : ١٢ ـ ١٧ '' .

* * *

وكذلك كان الحال مع يعقوب بن اسحق ، اذ تقول الأسفار أنه في ذهابه الى العراق القديم : '' رأى حلما واذا سلم منصوبه على الأرض ورأسها يمس السماء .. وهوذا الرب واقف عليها فقال : أنا الرب اله ابراهيم واله اسحق **الارض التي أنت مضطجع عليها أعطيها لك** ولنسلك ـ تكوين ٢٨ : ١٢ ـ ١٣ '' .

* * *

وبعد أن عاد يعقوب بأزواجه الاربع وأولاده من العراق ، ظهر له الله '' وباركه وقال له الله .. لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل يكون اسمك اسرائيل .. **والأرض التي اعطيت ابراهيم واسحق لك أعطيها** . ولنسلك من بعدك ـ تكوين ٣٥ : ٩ ـ ١٢ '' .

لكن الشيء الذي تؤكده الأسفار هو أن يعقوب وبنيه عاشوا في أرض كنعان غرباء مستضعفين ، لم يمتلكوا فيها شيئا ، وأن اقامتهم في أي بقعة منها كانت مرتبطة برضاء أهلها وموافقتهم . ويتضح ذلك من قصة اغتصاب دينة ابنة يعقوب . فلقد حدث أن خرجت دينة ذات يوم فرآها " شكيم بن حمور الحوى رئيس الأرض وأخذها واضطجع معها وأذلها . وتعلقت نفسه بدينة .. وأحب الفتاة ولاطف الفتاة .

فكلم .. أباه قائلا خذ لي الصبية زوجة .. فخرج حمور أبو شكيم الى يعقوب ليتكلم معه . وأتى بنو يعقوب من الحقل حين سمعوا . وغضب الرجال واغتاظوا جدا .. .

وتكلم حمور معهم قائلا : شكيم ابني قد تعلقت نفسه بابنتكم . اعطوه إياها زوجة وصاهرونا..**وتسكنون معنا وتكون الأرض قدامكم . اسكنوا واتجروا فيها وتملكوا بها** .. .

فأجاب بنو يعقوب شكيم وحمور أباه **بمكر** .. فقالوا .. إن صرتم مثلنا بختنكم كل ذكر نعطيكم بناتنا .. .

فحسن كلامهم في عيني حمور وفي عيني شكيم .. فأتى حمور وشكيم ابنه الى باب مدينتهما وكلما أهل مدينتهما قائلين : هؤلاء القوم مسالمون لنا . فليسكنوا الارض ويتجروا فيها .. لنصر شعبا واحدا بختننا كل ذكر كما هم مختونون .. فسمح لحمور وشكيم ابنه جميع الخارجين من باب المدينة . واختتن كل ذكر .. .

فحدث في اليوم الثالث اذ كانوا متوجعين أن ابنى يعقوب شمعون ولاوي اخوى دينة (الشقيقين) أخذا كل واحد سيفه وأتيا على المدينة باسرها وقتلا كل ذكر . وقتلا حمور وشكيم ابنه بحد السيف .. وسبوا ونهبوا كل ثروتهم وكل أطفالهم ونساءهم وكل ما في البيوت .

فقال يعقوب لشمعون ولاوى : كدرتماني بتكريهكما إياي عند سكان الأرض الكنعانيين والفرزيين وأنا نفر قليل ، فيجتمعون علي ويضربونني فأبيد أنا وبيتي — تكوين ٣٤ : ٢ — ٢٠ " .

ولم يحدث ان امتلك يعقوب شيئا في أرض كنعان سوى قطعة أرض صغيرة اشتراها بماله الخاص لينصب فيها خيمته ويقيم عليها مذبحا لله :
" أتى يعقوب سالما الى مدينة شكيم التي في أرض كنعان .. وابتاع قطعة الحقل التي نصب فيها خيمته من يد بني حمور أبى شكيم بمئة قسيطة — تكوين ٣٣ : ١٨ — ١٩ " .

لقد كانت تلك كل علاقة يعقوب بالأرض حتى رحل عنها بقبيلته الصغيرة إلى مصر أيام سلطان ابنه يوسف ، الى أن توفاه الله ودفن في مغارة المكفيلة بأرض كنعان ، تنفيذا لوصية كان قد أوصى بها بنيه :
" وفعل له بنوه هكذا كما أوصاهم . حمله بنوه اليى أرض كنعان ودفنوه في مغارة حقل المكفيلة التي اشتراها ابراهيم مع الحقل ملك قبر من عفرون الحثى .. ثم رجع يوسف الى مصر هو واخوته — تكوين ٥٠ : ١٢ — ١٤ " .

* * *

ونصل الآن الى نتاج محددة واضحة كل الوضوح ، لا لبس فيها ولا غموض نذكر منها :

١ — ان ابراهيم واسحق ويعقوب لم يتملك اي منهم أرض كنعان ، وان ما نجده في سفر التكوين من وعود الهية بذلك انما هو من صنع الكتبة الاسرائيليين الذين لم يراعوا الدقة فيما خلفوه من كتابات . ان الواقع التاريخي ينفي حدوث تلك الملكية في أي وقت من الأوقات ، الأمر الذي يفرض على أهل الكتاب (المقدس) نفي حدوث أي وعد الهي بتملك الأرض ، إذ لو كان حدث مثل ذلك الوعد — حسب النصوص التي بين أيدينا — لكان واجب التحقيق .

٢ ــ ولكي لا يتعارض ما يقوله سفر التكوين مع الواقع التاريخي ، صار لزاما على أهل الكتاب أن يقروا بأن حقيقة مفهوم الوعد بالأرض لا يعني تملكها بالصورة التي تعارف عليها الناس فيما يختص بتملك الأشياء ، وإنما هي سكن مؤقت تتطلب الاقامة فيه تحقيق شروط ، بحيث اذا امتنع تحقيقها امتنع بالتالي تحقيق الوعد بمفاهيمه المادية والروحية على السواء .

إن هذا واضح من مجرد قراءة هذه النصوص التي جاء بها موسى الى بني اسرائيل وحيا من الرب يقول :

ــ " **اذا سلكتم في فرائضي وحفظتم وصاياى وعملتم بها** : أعطى مطركم في حينه وتعطى الأرض غلتها .. فتأكلون خبزكم للشبع ، **وتسكنون في أرضكم** آمنين . **وأجعل سلاما في الأرض فتنامون وليس من يزعجكم** .. وأفي ميثاقي معكم .. .

لكن ان لم تسمعوا لي ولم تعملوا كل هذه الوصايا .. بل نكثم ميثاقي فإني اعمل هذه بكم : اسلط عليكم رعبا .. أجلب عليكم سيفا ينتقم نقمة الميثاق .. **اذريكم بين الأمم واجرد وراءكم السيف** .. والباقون منكم ألقى الجبانة في قلوبهم في أراضي أعدائهم .. فتهلكون بين الشعوب وتأكلكم أرض أعدائكم . والباقون منكم يفنون بذنوبهم في أراضي أعدائكم ــ لاويين : ٢٦ : ٣ ــ ٣٨ " .

* * *

● **أما بعد ..**

لقد كانت مشكلة بني اسرائيل ، على مر العصور ، هي التعلق بانتسابهم جسديا الى ابراهيم ــ إن صح مثل ذلك النسب لأبناء العصور الحديثة ــ واعتبار ذلك شرطا كافيا للاستعلاء على الناس والمطالبة بتملك فلسطين ، أرض كنعان . فمنذ ٢٠٠٠ سنة صرخ فيهم يحيى بن زكريا (يوحنا المعمدان) قائلا :

" **يا أولاد الأفاعي** : من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي . فاصنعوا أثمارا

تليق بالتوبة ، ولا تفتكروا أن تقولوا في أنفسكم لنا ابراهيم أبا . لأني أقول لكم ان الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولادا لابراهيم .

والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجر . فكل شجرة لا تصنع ثمرا جيدا تقطع وتلقى في النار ـــ متى ٣ : ١ ـــ ١٠ ’’ .

* * *

ولقد كانت تلك المفاهيم الخاطئة سببا في تنديد المسيح بهم حتى أنه اعتبرهم في الحـ ـقة أبناء الشيطان ، رغم أنهم حسب الجسد أبناء ابراهيم :

’’ أجابوه أننا ذرية ابراهيم ولم نستعبد لأحد قط .. أجابهم يسوع .. أنا عالم أنكم ذرية ابراهيم لكنكم تطلبون ان تقتلوني لأن كلامي لا موضع له فيكم .. أنتم تعملون ما رأيتم عند أبيكم .

أجابوا وقال له أبونا هو ابراهيم . فقال لهم يسوع لو كنتم أولاد ابراهيم لكنتم تعملون اعمال ابراهيم . ولكنكم الآن تطلبون ان تقتلوني وأنا انسان قد حدثكم بالحق الذي سمعه من الله . هذا لم يعمله ابراهيم . أنتم تعملون اعمال أبيكم .

فقالوا له اننا لم نولد من زنا .. .

فقال لهم يسوع : انتم من أب هو ابليس ، وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا . ذاك كان قتّالا للناس من البدء ولم يثبت في الحق ـــ يوحنا ٨ : ٣١ ـــ ٤٤ ’’ .

إن التعلق بمثل هذه المفاهيم الخاطئة قد جلب الشر على بني اسرائيل وعلى الناس ـــ عبر القرون ـــ ولا يزال يحدث آثاره القاتلة حتى اليوم .

* * *

التاريخ الاسرائيلي بفلسطين

أخرج موسى بنى اسرائيل من مصر ، وعبر بهم الى سيناء في طريقه الى فلسطين ، حتى يجد لهم بين ربوعها مكانا آمنا ينعمون فيه بحرية العقيدة ، فيعبدون الاله الواحد ، اله آبائهم ابراهيم واسحق ويعقوب .

لقد كانت فلسطين في ذلك الوقت أرضا تنعم بالخيرات ، وصفتها أسفار موسى بأنها '' ارض تفيض لبنا وعسلا '' . وقد استقرت فيها شعوب قوية تطورت من النظم القبلية المضطربة الى نظم حكم مستقرة ، فاستطاعت أن تقيم عددا من دويلات المدن على رأس كل منها ملك أو أمير ، ولها جيوش تحميها وتدافع عنها . وما كان للاسرائيليين ــ الذين تقدر عددهم الأسفار بنحو ست مئة ألف ــ أن يجدوا لهم مكاناً بين شعوب فلسطين القوية الا بالحرب . لقد كانت تلك هي المهمة التي حمل لواءها موسى وبدأ يعد العدة من أجل تحقيقها .

ومن هنا يبدأ التاريخ الاسرائيلي بفلسطين ، والذي نعرض لأهم مراحله المختلفة بشيء من التفصيل ، معتمدين بالدرجة الأولى على الأسفار الاسرائيلية التي هي حجة لبني اسرائيل ، وقد تكون حجة عليهم حسبما يستبان من هذه الدراسة بعد قليل .

* * *

اسرائيل تحت قيادة موسى ويشوع

● التعبئة والاحصاء :

بدأ موسى الخطوة الأولى للاعداد للحرب بتعبئة الافراد اللائقين للخدمة العسكرية . فقد " كلم الرب موسى في برية سيناء .. في أول الشهر الثاني في السنة الثانية لخروجهم من أرض مصر قائلا : **احصوا كل جماعة بني اسرائيل** بعشائرهم وبيوت آبائهم بعدد الأسماء ، كل ذكر برأسه من **ابن عشرين سنه فصاعدا ، كل خارج للحرب في اسرائيل** .. **حسب أجنادهم** .. رجل لكل سبط . رجل هو رأس لبيت آبائه .. رؤساء أسباط آبائهم . رؤوس ألوف (قادة لواءات) ــ عدد ١ : ١ ــ ١٧ " .

* * *

● التجسس والاستطلاع :

ثم كانت الخطوة التالية حين " كلم الرب موسى قائلا : أرسل رجالا ليتجسسوا أرض كنعان .. رجلا واحدا لكل سبط .. فارسلهم موسى من برية فاران حسب قول الرب .. .

فأرسلهم موسى ليتجسسوا أرض كنعان وقال لهم اصعدوا من هنا الى الجنوب واطلعوا إلى الجبل . **وانظروا الأرض ما هي . والشعب الساكن فيها** : أقوى هو أم ضعيف . قليل أم كثير . **وكيف هي الأرض** التي هو ساكن فيها : أجيدة أم ردية . **وما هي المدن التي هو ساكن فيها** : أمخيمات أم حصون . وكيف هي الأرض أسمينة أم هزيله . أفيها شجر أم لا . **وتشددوا فخذوا من ثمر الأرض** ــ عدد ١٣ : ١ ــ ٢٠ " .

لقد لقن موسى جواسيسه مهمتهم على أفضل وجه ، وحدد لهم تفاصيلها ، وطلب منهم ما يعرف باسم : **الاستطلاع بقوة** ، إذ قال لهم : تشددوا فخذوا من ثمر الأرض ، فأمرهم احضار عينات من ثمار الأرض . ولا عجب في ذلك ، فقد

تربى موسى في بيت فرعون ، وتعلم على أيدي المصريين الذين نظموا أول جيش وأقاموا أول دولة عرفها العالم . وتشهد بذلك أسفار العهد الجديد إذ تقول :

" **تهذب موسى بكل حكمة المصريين ـــ اعمال الرسل ٧ : ٢٢** " .

* * *

● محاولة انقلاب على موسى :

عاد الجواسيس من أرض كنعان وقدموا لموسى ولبني اسرائيل تقريرا عن مهمتهم ، مصحوبا بعينات من ثمار الأرض ، إذ أنهم " قطعوا من هناك زرجونة بعنقود واحد من العنب وحملوه بالدقرانة بين اثنين ، مع شيء من الرمان والتين . " وكان مما قالوه : " قد ذهبنا الى الأرض التي أرسلتنا اليها ، **وحقا إنها تفيض لبنا وعسلا ، وهذا ثمرها . غير أن الشعب الساكن في الأرض معتز والمدن حصينة عظيمة جدا .** وأيضا قد رأينا بني عناق هناك. العمالقة ساكنون في أرض الجنوب، والحيثون واليبوسيون والاموريون ساكنون في الجبل ، والكنعانيون ساكنون عند البحر وعلى جانب الأردن .[1]

لكن كالب أنصت الشعب الى موسى وقال : اننا نصعد ونمتلكها لأننا قادرون عليها .

وأما الرجال الذين صعدوا معه فقالوا : لا نقدر أن نصعد الى الشعب لأنهم أشد منا . فأشاعوا مذمة الأرض التي تجسسوها في بني اسرائيل قائلين : الأرض التي مررنا فيها لنتجسسها هي أرض تأكل سكانها . وجميع الشعب الذي رأينا **فيها أناس طوال القامة . وقد رأينا هناك الجبابرة بني عناق من الجبابرة . فكنا في أعيننا كالجراد ، وهكذا كنا في أعينهم ـــ عدد ١٣ : ٢٧ ـــ ٣٣** " .

لقد كان لهذا التقرير وقع الصاعقة على رؤوس الجماعة الاسرائيلية ، فتذمروا على موسى وهارون ، وتزعم بعضهم محاولة انقلاب تقيم رئيسا غير موسى يرجع بهم الى مصر :

" رفعت كل الجماعة صوتها وصرخت وبكى الشعب تلك الليلة **وتذمر على موسى وعلى هارون جميع بني اسرائيل** . وقال لهما كل الجماعة : ليتنا متنا في

---

(١) انظر الملحق رقم (١) بنهاية الكتاب .

أرض مصر ، أو ليتنا متنا في هذا القفر . **ولماذا أتى بنا الرب الى هذه الأرض لنسقط بالسيف** ، تصير نساؤنا وأطفالنا غنيمة . أليس خيرا لنا أن نرجع الى مصر .

فقال بعضهم لبعض : نقيم رئيسا ونرجع الى مصر ــ عدد ١٤ : ١ ــ ٤ " .

* * *

● **عقاب التمرد الاسرائيلي :**

" **قال الرب لموسى : حتى متى يهينني هذا الشعب** ، وحتى متى لا يصدقونني بجميع الآيات التي عملت في وسطهم ؟! ..

حتى متى اغفر لهذه الجماعة الشريرة المتذمرة علي ؟!

قل لهم : حي أنا ، يقول الرب ، لأفعلن بكم كما تكلمتم في أذني . في هذا القفر تسقط جثثكم ، جميع المعدودين منكم حسب عددكم من ابن عشرين سنة فصاعدا ، الذين تذمروا علي . لن تدخلوا الأرض التي رفعت يدي لأسكنكم فيها .. بنوكم يكونون رعاة في القفر أربعين سنة ويحملون فجوركم حتى تفنى جثثكم في القفر .. **أنا الرب قد تكلمت لأفعلن هذا بكل هذه الجماعة الشريرة المتفقة علي** ــ عدد ١٤ : ١١ ــ ٣٥ " .

ولم يقتصر الأمر على ذلك ، فقد لحق بموسى شيء مما حل بالجماعة الاسرائيلية المتمردة ، وكما حرمت عليهم أرض فلسطين ، **فقد حرمت كذلك على موسى نظير اتهامه بخيانة ربه ــ حسبما يزعم كتبة الأسفار ــ وكان ذلك في آخر وحي تلقاه واختتمت به حياته :**

" وكلم الرب موسى .. قائلا : اصعد الى جبل عباريم هذا جبل نبو الذي في أرض مرآب الذي قبالة اريحا ، **وانظر أرض كنعان** .. و مت في الجبل الذي تصعد إليه وانضم الى قومك كما مات هارون أخوك في جبل هور وضم الى قومه . **لأنكما خنتماني في وسط بني اسرائيل .. فانك تنظر الأرض من قبالتها ، ولكنك لا تدخل الى هناك** ــ تثنية ٣٢ : ٤٨ ــ ٥٢ " .

" وصعد موسى .. الى جبل نبو .. قبالة أريحا ، فأراه الرب جميع الأرض .. وقال له الرب .. **قد أريتك إياها بعينيك ، ولكنك الى هناك لا تعبر .**

فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب .. ولم يعرف انسان قبره الى اليوم ــ تثنية ٣٤ : ١ ــ ٦ " .

* * *

● **يشوع يتلقى الأمر بالغزو :**

" وكان بعد موت موسى عبد الرب، أن الرب كلم يشوع بن نون خادم موسى قائلا : موسى عبدى قد مات . فالآن **قم اعبر هذا الأردن** انت وكل هذا الشعب الى الأرض التي أنا معطيها لهم أي لبني اسرائيل .. كما كنت مع موسى أكون معك .. تشدد وتشجع ــ يشوع ١ : ١ ــ ٦ " .

* * *

● **تجسس الأرض باستخدام زانية :**

" فارسل يشوع بن نون من شطيم رجلين جاسوسين سرا قائلا اذهبا انظرا الأرض وأريحا .

فذهبا ودخلا بيت امرأة زانية اسمها راحاب واضطجعا هناك .. فأخذت المرأة الرجلين وخبأتهما .. .

وقالت للرجلين علمت أن الرب قد أعطاكم الأرض **وأن رعبكم قد وقع علينا وأن جميع سكان الأرض قد ذابوا من أجلكم** .. فالآن احلفا لي بالرب .. لأني قد عملت معكما معروفا بان تعملا انتما ايضا مع بيت أبي معروفا وتستحيا أبي وأمي واخوتي واخواتي وكل مالهم وتخلصا أنفسنا من الموت .. .

ثم رجع الرجلان .. واتيا الى يشوع .. وقالا : ان الرب قد دفع بيدنا الأرض كلها **وقد ذاب كل سكان الأرض بسببنا ــ** يشوع ٢ : ١ ــ ٢٤ " .

● **تدمير الحياة في عمليات الغزو :**

لقد استطاع يشوع ان يقود القبائل الاسرائيلية ويقتحم بها بعض الأجزاء الشرقية والجنوبية من فلسطين ويستولي على بعض المدن مثل أريحا وعاى . وكان من عادة الاسرائيليين حين يقتحمون إحدى المدن أن يوقعوا بها القتل والتخريب ويقتلون الأسرى ويسوقون الموت لكل نفس حية حتى الأطفال والشيوخ والبهائم . فعلوا ذلك بأريحا ، فقد " صعد الشعب الى المدينة .. وأخذوا المدينة وحرموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة وطفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير **بحد السيف .. وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها** ، انما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد جعلوها في خزانة بيت الرب ، **واستحيى يشوع راحاب الزانية وبيت أبيها وكل مالها . وسكنت في وسط اسرائيل الى اليوم** .. وحلف يشوع في ذلك الوقت قائلا : **ملعون قدام الرب الرجل الذي يقوم ويبني هذه المدينة أريحا** ـــ يشوع ٦ : ٢٠ ـــ ٢٦ " .

وبالمثل ، فعل الاسرائيليون بعاى :

" **وكان لما انتهى اسرائيل من قتل جميع سكان عاي في الحقل .. بحد السيف حتى فنوا** .. فكان جميع الذين سقطوا في ذلك اليوم رجال ونساء اثنى عشر الفا جميع اهل عاي .. .

لكن البهائم وغنيمة تلك المدينة نهبها اسرائيل لأنفسهم حسب قول الرب .. واحرق يشوع عاى وجعلها تلا أبديا خرابا إلى هذا اليوم ـــ يشوع ٨ : ٢٤ ـــ ٢٨ " .

وفعل الاسرائيليون نفس الشيء من قتل وتدمير واحراق لجميع المدن التي غزوها :

" وكان لما اخرجوا أولئك الملوك إلى يشوع .. ضربهم يشوع بعد ذلك وقتلهم وعلقهم على خمس خشب .. .

وأخذ يشوع مقيدة في ذلك اليوم وضربها بحد السيف وحرم ملكها هو وكل نفس بها . لم يبق شاردا .. .

ثم اجتاز يشوع من مقيدة وكل اسرائيل معه الى لبنة .. فضربها بحد السيف وكل نفس بها ، لم يبق شاردا .. .

ثم اجتاز يشوع وكل اسرائيل معه من لبنة إلى لخيش ونزل عليها وحاربها .. وضربها بحد السف وكل نفس بها حسب كل ما فعل بلبنة .. فضرب يشوع كل أرض الجبل والجنوب والسهل والسفوح وكل ملوكها ، لم يبق شاردا ـــ يشوع ١٠ : ٢٤ ـــ ٤٠ '' .

لكن كثيرا من المدن الهامة استعصت على الاسرائيليين ، ومن بينها **مدينة يبوس** (أورشليم) التي استولى عليها داود بعد ذلك بنحو مائتين وخمسين عاما واتخذها عاصمة له :

'' أما اليبوسيون الساكنون في أورشليم فلم يقدر يهوذا على طردهم ، **فسكن اليبوسيون مع بني يهوذا في أورشليم الى هذا اليوم** ـــ يشوع ١٥ : ٦٣ '' .

لكن هذا القول يتناقض مع ما نقرأه بعد ذلك في الأسفار من أن مدينة يبوس كانت غريبة تماما بالنسبة للاسرائيلين ، فلم تكن لهم فيها موضع قدم إلى أن جاء داود : '' وفيما هما عند يبوس .. قال الغلام لسيده تعال نمل الى مدينة اليبوسيين هذه ونبيت فيها .. فقال له سيده : **لا نميل الى مدينة غريبة ، حيث ليس أحد من بني اسرائيل هنا** . نبيت في جبعة أو الرامة ـــ قضاة ١٩ : ١١ ـــ ١٣ '' .

وعلى كل حال ، فان علاقة الاسرائيليين بأرض فلسطين أيام يشوع لم تتعد قيامهم بعمليات تخلل لبعض اجزائها ، وتمكنهم من العيش وسط شعوبها على هيئة قبائل متفرقة .

وكان قبل موت يشوع أن دعا : '' جميع اسرائيل وشيوخه .. وقال لهم : أنتم

قد رأيتم كل ما عمل الرب الهكم بجميع أولئك الشعوب من أجلكم لأن الرب الهكم هو المحارب عنكم .. .

ولكن إذا رجعتم ولصقتم ببقية هؤلاء الشعوب أولئك الباقين معكم وصاهرتموهم .. فاعلموا يقينا أن الرب الهكم لا يعود يطرد أولئك الشعوب من أمامكم فيكونون لكم فخا وسوطا على جوانبكم .. حتى تبيدوا عن تلك الأرض الصالحة التي أعطاكم اياها الرب الهكم .. .

لم تسقط كلمة واحدة من جميع الكلام الصالح الذي تكلم به الرب عنكم .. ويكون كما انه أتى عليكم كل الكلام الصالح الذي تكلم به الرب الهكم عنكم ، كذلك يجلب عليكم الرب كل الكلام الرديء حتى يبيدكم عن هذه الأرض الصالحة التي أعطاكم الرب الهكم حينما تتعدون عهد الرب الهكم .. فتبيدون سريعا عن الأرض الصالحة التي أعطاكم ــ يشوع ٢٣ : ٢ ــ ١٦ ".

وتبرز هنا نقطتان هامتان :

الأولى ــ ان اقامة الاسرائيليين بفلسطين متوقفة منذ بدئها على صدق العقيدة وحسن السلوك والوفاء بعهد الله . حتى اذا ما نقضوا العهد وانحرفوا عن الصراط المستقيم ، انزل الله بهم غضبه واقتلعهم من فلسطين وجعلهم هزؤا بين الشعوب .

الثانية ــ أنه بصرف النظر عما يقال عن حقيقة مفهوم الوعد الالهي لابراهيم وابنائه الذين يحق لهم اقتسام ميراثه ــ وحتى لو سلمنا جدلا أن اولئك الأبناء هم بنو اسرائيل وحدهم واسقطنا من عداهم من نسل ابراهيم ــ لوجدنا من كلام يشوع الأخير قبل وفاته ، أن الوعد الالهي قد تحقق في ايامه وانتهى الأمر . فلقد قال : " لم تسقط كلمة واحدة من جميع الكلام الصالح الذي تكلم به الرب عنكم . الكل صار لكم ".

إن هذا ينسف عبارة " أرض اسرائيل الكبرى " من أساسها ، ويفضح زيفها . فهي ليست إلا تعبيرا عن الرغبة في توسع استعماري لا يجد له من نصوص أسفار

اسرائيل المقدسة سندا أو دليلاً . بل ان نصوص هذه الأسفار تحرم على بني اسرائيل ، منذ عهد موسى ، التملك أو الاعتداء على أراضي معينة جعلها الله موطنا دائما لشعوب معينة . فقد قال الرب لموسى : " أوصى الشعب قائلا : أنتم مارون بتخوم اخوتكم بني عيسو (أبناء عمومتهم) الساكنين في سعير .. لا تهجموا عليهم لأني لا أعطيكم من ارضهم ولا وطأة قدم ، لأني لعيسو قد اعطيت جبل سعير ميراثا . . .

قال لي الرب : لا تعاد موآب ولا تثر عليهم حربا لأني لا أعطيك من أرضهم ميراثا . لأني لبني لوط قد أعطيت عار ميراثا . .

كلمني الرب قائلا : انت مار اليوم بتخم موآب بعار . فمتى قربت الى تجاه بني عمون لا تعادهم ولا تهجموا عليهم . لأني لا أعطيك من أرض بني عمون ميراثا لأني لبني لوط قد أعطيتها ميراثا ــ تثنية ٢ : ٤ ــ ١٩ " .

لقد سكن الموآبيون والعمونيون في شرق الأردن ، وسكن الادوميون ، بنو عيسو ، جنوب أرض موآب وجنوب غرب البحر الميت .. ولقد حرمت تلك المناطق الثلاث على بني اسرائيل ــ منذ عهد موسى ــ فليس لهم الا امكانية العبور برضا أهلها : " طعاما تشترون منهم بالفضة لتأكلوا ، وماء أيضا تبتاعون منهم بالفضة لتشربوا ــ تثنية ٢ : ٦ " .

ليس في الأسفار ــ اذن ــ ما يمكن أن يقال له أرض اسرائيل الكبرى . فما ذلك الا تضليل باسم الدين ، وشعار زائف يخدع البسطاء والجاهلين .

* * *

عصــــر القضــــاة

يمتد هذا العصر بعد يشوع الى ما يزيد على مائتي عام ، عاش فيه الاسرائيليون بين الشعوب الفلسطينية بكيان ممزق ، كثيرا ما تعرض للقهر والعبودية . وأكثر من هذا انهم انتكسوا في عقيدتهم ، فارتدوا عن التوحيد ـــ الذين كان كل ميزتهم أيام موسى ـــ ورجعوا الى عبادة الأصنام وقبيح العادات . وفي ذلك العصر ، ظهر فيهم رعاة عرفوا باسم القضاة ، غالبا ما حاولوا ردهم عن طرق الضلال والضياع ، الا أن جهودهم ذهبت سدى .

ويلخص سفر القضاة أحوال بني اسرائيل في تلك الفترة فيقول :

" فعل بنو اسرائيل الشر في عينى الرب وعبدوا البعليم وتركوا الرب اله آبائهم الذي أخرجهم من أرض مصر ، وساروا وراء آلهة الشعوب الذين حولهم وسجدوا لها وأغاظوا الرب وعبدوا البعل وعشتاروت ، فحمى غضب الرب على اسرائيل فدفعهم بايدي ناهبين نهبوهم ، وباعهم بيد أعدائهم حولهم ولم يقدروا بعد على الوقوف أمام أعدائهم ، فضاق بهم الأمر جدا .

وأقام الرب قضاة ، فخلصوهم من يد ناهبيهم ، ولقضاتهم أيضا لم يسمعوا[1] ، بل زنوا وراء آلهة أخرى .... .

وحينما أقام الرب لهم قضاة كان الرب مع القاضي وخلصهم من يد أعدائهم

كل أيام القاضي . وعند موت القاضي كانوا يرجعون ويفسدون أكثر من آبائهم .. لم يكفوا عن أفعالهم وطريقهم القاسية . فحمى غضب الرب على اسرائيل وقال : من أجل أن هذا الشعب قد تعدوا عهدي ، فأنا أيضا لا أعود أطرد انسانا من أمامهم من الأمم الذين تركهم يشوع عند موته ــ قضاة ٢ : ١١ ــ ٢١ '' .

* * *

ولقد بلغت الفترة التي عاشها الاسرائيليون في ذل واستعباد اكثر من سبعين عاما أي ثلث عصر القضاة :

'' سكن بنو اسرائيل في وسط الكنعانيين والحثيين والأموريين والفرزيين والحوبين واليبوسيين واتخذوا بناتهم لأنفسهم نساء وأعطوا بناتهم لبنيهم وعبدوا آلهتهم .. .

فحمى غضب الرب على اسرائيل فباعهم بيد كوشان .. فعبد اسرائيل كوشان رشعتايم ثماني سنين ــ قضاة ٣ : ٥ ــ ٨ '' .

'' وعبد بنو اسرائيل عجلون ملك موآب ثماني عشرة سنة ــ قضاة ٣ :١٤ '' .

'' وعاد بنو اسرائيل يعملون الشر .. فباعهم الرب بيد يابين ملك كنعان.. وكان له تسع مئة مركبة من حديد . وهو ضايق بني اسرائيل بشدة عشرين سنة ــ قضاة ٤ : ١ ــ ٣ '' .

'' وعمل بنو اسرائيل الشر في عيني الرب فدفعهم الرب ليد مديان سبع سنين . فاعتزت يد مديان على اسرائيل . بسبب المديانيين عمل بنو اسرائيل لأنفسهم الكهوف التي في الجبال والمغاير والحصون . وإذا زرع اسرائيل كان يصعد المديانيون والعمالقة وبنو المشرق.. وينزلون عليهم ويتلفون غلة الأرض .. ولا يتركون لاسرائيل قوت الحياة ولا غنما ولا بقرا ولا حميرا . لأنهم كانوا يصعدون بمواشيهم وخيامهم ويجيئون كالجراد في الكثرة وليس لهم ولجمالهم عدد .. فذل اسرائيل جدا من قبل المديانيين ــ قضاة ٦ : ١ ــ ٦ '' .

” وعاد بنو اسرائيل يعملون الشر في عينى الرب وعبدوا البعليم والعشتاروت وآلهة أرام وآلهة صيدون وآلهة موآب وآلهة بني عمون وآلهة الفلسطينيين وتركوا الرب ولم يعبدوه .

فحمي غضب الرب على اسرائيل وباعهم بيد الفلسطينيين وبيد بني عمون . فحطموا ورضضوا بني اسرائيل .. ثماني عشرة سنة ــ قضاة ١٠ : ٦ ــ ٨ “ .

هذا ــ وقد اشتهر من بين قضاتهم : دبورة وجدعون ، ويفتاح الجلعادي (وهو ابن امرأة زانية ــ قضاة ١١ : ١) ، وشمشون صاحب دليلة . وفي أيامه : ” نزل ثلاثة آلاف رجل من يهوذا .. وقالوا لشمشون : **أما علمت أن الفلسطينيين يتسلطون علينا ، فماذا فعلت بنا ؟! .. ثم ذهب** شمشون إلى غزة ورأى هناك امرأة زانية فدخل اليها ــ قضاة ١٥ : ١١ ، ١٦ : ١٠ “ .

كما اشتهر من بينهم صموئيل نبيا وقاضيا .

* * *

عصـــر الملـــوك

عاش الاسرائيليون بين الشعوب الفلسطينية غنما مبددة ، لم تستطع عوامل الخطر وانعدام الأمن التي احاطت بهم من كل جانب ان توحد صفوفهم . ولقد بلغ بهم الانحلال والتردي غايته حتى ان حادثة زنى بسرية أحدهم تتسب في حرب طاحنة بين سبط بنيامين وبقية أسباط اسرائيل ، يسقط فيها من كلا الجانبين ـــ حسب الاعداد التي تذكرها الاسفار ـــ ما يزيد على ١٠٠٠٠٠ رجل !

ونلخص هذه القصة بلغة الأسفار فنقول :

'' كان رجل لاوى .. اتخذ له امرأة سرية من بيت لحم يهوذا .. ثم قام الرجل للذهاب هو وسريته وغلامه .. وذهب وجاء الى مقابل **يبوس . هي أورشليم** .. قال الغلام لسيده **تعال نميل الى مدينة اليبوسيين هذه ونبيت فيها . فقال له سيده لا نميل الى مدينة غريبة حيث ليس أحد من بني اسرائيل هنا** .. فعبروا وذهبوا عند جبعة التي لبنيامين .. وإذا برجل شيخ .. وهو غريب في جبعة ورجال المكان بنياميون .. جاء به الى بيته .. وأكلوا وشربوا .

وإذا برجال المدينة رجال بني بليعال أحاطوا بالبيت .. وكلموا الرجل صاحب البيت الشيخ قائلين اخرج الرجل الذي دخل بيتك فنعرفه (نضاجعه) .. فخرج اليهم الرجل صاحب البيت وقال لهم لا يا اخوتي لا تفعلوا هذه القباحة . هوذا

ابنتي العذراء وسريته دعوني اخرجهما فأذلوهما .. فلم يرد الرجال أن يسمعوا له . فأمسك الرجل سريته وأخرجها اليهم خارجا فعرفوها (ضاجعوها) وتعللوا بها الليل كله الى الصباح .. فقام سيدها في الصباح .. واذا بالمرأة سريته ساقطة على باب البيت .. فدخل بيته وأخذ السكين وأمسك سريته وقطعها مع عظامها الى اثنتى عشرة قطعة وأرسلها الى جميع تخوم اسرائيل .. .

وارسل اسباط اسرائيل رجالا إلى جميع اسباط بنيامين قائلين .. سلموا القوم بنى بليعال الذين في جبعة لكي نقتلهم .. .

فاجتمع بنو بنيامين .. إلى جبعة لكي يخرجوا لمحاربة بني اسرائيل .. فخرج بنو بنيامين من جبعة وأهلكوا من اسرائيل في ذلك اليوم اثنين وعشرين ألف رجل إلى الأرض .. .

خرج بنيامين للقائهم من جبعة في اليوم الثاني وأهلك من بني اسرائيل أيضا ثمانية عشر ألف رجل إلى الأرض .. .

وصعد بنو اسرائيل على بني بنيامين في اليوم الثالث .. وأهلك بنو اسرائيل من بنيامين في ذلك اليوم خمسة وعشرين ألف رجل ومئة رجل .. ورجعوا أمام بني اسرائيل في طريق البرية ولكن القتال أدركهم .. فسقط من بنيامين ثمانية عشر ألف رجل .. فداروا وهربوا إلى البرية .. وكان جميع الساقطين من بنيامين خمسة وعشرين ألف رجل ـ قضاة ١٩ ، ٢٠ ’’ .

* * *

لقد امتلأت أرض فلسطين منذ أمد بعيد بالممالك ، وذلك من قبل أن يولد اسرائيل ومن قبل أن يكون للاسرائيليين فيها موطىء قدم . وتتحدث الأسفار عن ملوك كثيرين عاشوا ايام ابراهيم تذكر منهم ابيمالك ملك جرار الذي أخذ سارة من ابراهيم ثم ردها إليه بعد أن علم أنها زوجته (تكوين ٢٠) . كما تذكر ’’ ملكى صادق ملك شاليم .. وكان كاهنا لله العلي ’’ وقد خرج لتهنئة ابراهيم

بعد انتصاره في الحرب ضد الملوك الأربعة الذين سبوا لوطا ابن أخيه ، بعد " انقسم عليهم ليلا هو وعبيده فاسرهم وتبعهم إلى حوبة التي عن شمال دمشق . واسترجع كل الاملاك واسترجع لوطا أخاه أيضا واملاكه والنساء أيضا والشعب — تكوين ١٤ : ١٥ — ١٦ " .

ولقد كان هذا الملك — ملك اورشليم (مزمور ٧٦ : ٣) — ملكا يؤمن بالإله الواحد خالق السموات والأرض ؛ إذ أنه " قال : مبارك ابرام من الله العلي مالك السموات والارض . ومبارك الله العلي الذي أسلم أعداءك في يدك — تكوين ١٤ : ١٩ " . وتذكره الرسالة إلى العبرانيين باعتباره أتى إلى هذه الحياة بلا أب ولا أم ، فتقول : " لأن ملكي صادق هذا ملك ساليم كاهن الله العلي الذي استقبل ابراهيم راجعا من كسرة الملوك وباركه . الذي قسم له ابراهيم عشرا من كل شيء . المترجم أولا ملك البر ، ثم أيضا ملك ساليم أي ملك السلام . بلا أب ، بلا أم ، بلا نسب — ٧ : ١ — ٢ " .

وتقول حاشية ترجمة اورشليم الفرنسية أن ملكي صادق هذا كان " ملكا وكاهنا لم يذكر له الكتاب المقدس آباء ، ولا حفدة فكأن كهنوته أبدى . عشَّر ابراهيم (تكوين ١٤ : ٢٠) فهو أعظم منه وأعظم من أبناء ابراهيم كهنة لاوى " .

* * *

ولقد كانت المملكة عبارة عن شعب يسكن رقعة من الأرض ، يقيم بها المدن والحصون ، وينظم جيشا ، ويقيم على رأسه ملكا يتولى القيادة وشئون الحكم في الحرب والسلم . لقد كانت تلك الممالك دولا مصغرة أو بتعبير أدق دويلات . وقد كثرت تلك الممالك في فلسطين ايام يشوع — خليفة موسى — حتى أنه استطاع ان يحارب واحدا وثلاثين ملكا ينتمون إلى ستة شعوب : " وهؤلاء هم ملوك الأرض الذي ضربهم يشوع .. الحثيون والاموريون والكنعانيون والفرزيون

والحويون واليبوسيون .. ملك اريحا واحد .. ملك اورشليم واحد .. ملك مجدو واحد .. ملك قادش واحد .. .

جميع الملوك واحد وثلاثون ــ يشوع ١٢ : ٧ ــ ٢٤ " .

* * *

● **الرب ضد إقامة دولة اسرائيل :**

لقد نظر الاسرائيليون حولهم ــ بعد يشوع بنحو قرنين من الزمان ــ فوجدوا أن الشعوب الفلسطينية قد سبقتهم في تنصيب الملوك واقامة الممالك أي الدول ، واستطاعت بذلك أن تجمع شملها وتحافظ على كيانها . وهناك تطلعت نفوسهم إلى شيء ومن ذلك " فاجتمع كل شيوخ اسرائيل وجاؤا إلى صموئيل إلى الرامة . وقالوا له : هوذا أنت قد شخت وابناك لم يسيرا في طريقك (وكان صموئيل قد عينهما قاضيين) . **فاجعل لنا ملكا يقضي لنا كسائر الشعوب . فساء الأمر في عيني صموئيل إذ قالوا أعطنا ملكا يقضي لنا** .

وصلى صموئيل إلى الرب .

فقال الرب لصموئيل : اسمع لصوت الشعب في كل ما يقولون لك . **لأنهم لم يرفضوك أنت بل إياي رفضوا حتى لا أملك عليهم** . .

حسب كل أعمالهم التي عملوا من يوم أصعدتهم من مصر إلى هذا اليوم وتركوني وعبدوا آلهة أخرى ، **هكذا هم عاملون بك أيضا** .

فالآن اسمع لصوتهم . **ولكن اشهدن عليهم وأخبرهم بقضاء الملك الذي يملك عليهم** ــ صموئيل الأول ٨ : ٤ ــ ٩ " .

لقد كان الرب ضد اقامة مملكة لاسرائيل منذ اليوم الأول للتفكير في ذلك . فلقد كان هذا يعني ــ حسب قول الرب ــ رفضا لحكم الله لهم عن طريق انبيائه

ومنهم صموئيل ، وكان رفضهم لصموئيل ــ في حقيقة الأمر ــ رفضا لله ، اذ قال : '' **لم يرفضوك ، بل اياى رفضوا حتى لا أملك عليهم** '' .

* * *

●اصرار الاسرائيليين على اقامة المملكة رغم تحذير صموئيل :

'' كلم صموئيل الشعب الذين طلبوا منه ملكا بجميع كلام الرب . وقال هذا يكون قضاء الملك الذي يملك عليكم :

يأخذ بنيكم ويجعلهم لنفسه لمراكبه وفرسانه فيركضون أمام مراكبه . ويجعل لنفسه رؤساء ألوف ورؤساء خماسين (قادة تنظيمات عسكرية) فيحرثون حراثته ويحصدون حصاده ، ويعملون عدة حربه وادوات مراكبه . ويأخذ بناتكم عطارات وطباخات وخبازات . ويأخذ حقولكم وكرومكم وزيتونكم أجودها ويعطيها لعبيده . ويعشّر زروعكم وكرومكم ويعطي لخصيانه وعبيده . ويأخذ عبيدكم وجواريكم وشبانكم الحسان وحميركم ويستعملهم لشغله . ويعشّر غنمكم وأنتم تكونون له عبيدا .

فتصرخون في ذلك اليوم من وجه ملككم الذي اخترتموه لأنفسكم فلا يستجيب لكم الرب في ذلك اليوم .

فأبى الشعب أن يسمعوا لصوت صموئيل وقالوا : لا ، بل يكون علينا ملك فنكون نحن أيضا مثل سائر الشعوب ويقضي لنا ملكنا ويخرج أمامنا ويحارب حروبنا .. .

فقال الرب لصموئيل . اسمع لصوتهم وملّك عليهم ملكا ــ صموئيل الأول ٨ : ١٠ ــ ٢٢ '' .

* * *

مملكة شاول (١٠٢٠ - ١٠٠٠ ق. م.)

● **اختيار شاول ملكا :**

اختار صموئيل — حسبما أوحى إليه — رجلا من أقل عشائر الاسرائيليين ، ومسحه ملكا عليهم ، فكان ملكا ومسيحا . ولقد قوبل ذلك من أول يوم بالهزؤ والسخرية : '' والرب كشف أذن صموئيل قبل مجيء شاول بيوم قائلا : غدا في مثل الآن أرسل اليك رجلا من أرض بنيامين . فامسحه رئيسا لشعبي اسرائيل .. .

فأخذ صموئيل قنينة الدهن وصب على رأسه وقبله وقال : أليس لأن الرب قد مسحك على ميراثه رئيسا .. عند مجيئك إلى هناك إلى المدينة أنك تصادف زمرة من الأنبياء نازلين من المرتفعة وأمامهم رباب ودف وناي وعود وهم يتنبأون . فيحل عليك روح الرب فتتنبأ معهم وتتحول إلى رجل آخر . وإذا أتت هذه الآيات عليك فافعل ما وجدته يدك لأن الله معك .. .

ولما رآه جميع الذين عرفوه منذ أمس وما قبله أنه يتنبأ مع الأنبياء قال الشعب الواحد لصاحبه : ماذا صار لابن قيس . أشاول أيضا بين الأنبياء ؟! ولذلك ذهب مثلا : أشاول أيضا بين الأنبياء ! — صموئيل الأول ٩ ، ١٠ '' .

* * *

● **ندم الاسرائيليين على اقامة المملكة :**

" قال صموئيل لكل اسرائيل : هأنذا قد سمعت لصوتكم في كل ما قلتم لي وملّكت عليكم ملكا .. فالآن هوذا الملك الذي اخترتموه الذي طلبتموه وهوذا قد جعل الرب عليكم ملكا .. .

وقال جميع الشعب لصموئيل : صل عن عبيدك إلى الرب إلٰهك حتى لا نموت . **لأننا قد أضفنا إلى جميع خطايانا شرا بطلبنا لأنفسنا ملكا** . فقال صموئيل للشعب لا تخافوا . انكم قد فعلتم كل هذا الشر ولكن لا تحيدوا عن الرب بل اعبدوا الرب بكل قلوبكم .. لأنه قد شاء الرب ان يجعلكم له شعبا ــ صموئيل الأول ١٢ : ١ ــ ٢٢ " .

* * *

● **جنون شاول :**

لقد كان من عادة شاول حين ينزل عليه الوحي ويتنبأ أن يتعرى من ثيابه :

" ذهب (شاول) إلى هناك .. فكان عليه أيضا روح الله فكان يذهب ويتنبأ .. **فخلع هو أيضا ثيابه وتنبأ هو أيضا أمام صموئيل وانطرح عريانا ذلك النهار كله وكل الليل** ــ صموئيل الأول ١٩ : ٢٣ ــ ٢٤ " .

ولكن سرعان ما قضى على ملك شاول بعد أن رفضه الله بسبب خطيئة اكتسبها . وعندئذ فارقه روح الله وحل عليه روح شرير كان لا يهدأ الا اذا عملت له حفلة موسيقية برع فيها أحد خدمه ، وهو داود :

" قال صموئيل لشاول : قد انحمقت . لم تحفظ وصية الرب الهك التي أمرك بها لأنه الآن كان الرب قد ثبت مملكتك على اسرائيل إلى الابد . وأما الآن فمملكتك لا تقوم ــ صموئيل الأول ١٣ : ١٣ ــ ١٤ " .

" وذهب روح الرب من عند شاول **وبغته روح رديء من قبل الرب** .. وكان عندما جاء الروح (الرديء) من قبل الله على شاول أن **داود أخذ العود وضرب**

بيده ، فكان يرتاح شاول ويطيب ويذهب عنه الروح الرديء ــ صموئيل الأول ١٦ : ١٤ ــ ٢٤ ".

ولقد عرف عن شاول بذاءة لسانه ، فكان حين يوبخ ابنه ان يتعرض بالسفه لعورة أمه :

" حمى غضب شاول على يوناثان (ابنه) وقال له : يا ابن المتعوجة المتمردة ! أما علمت أنك قد اخترت (داود) ابن يسّى لخزيك وخزي عورة أمك ــ صموئيل الأول ٢٠ : ٣٠ ".

ثم أصيب شاول بنوبات من الجنون : " وكان في الغد أن الروح الرديء من قبل الله اقتحم شاول وجن في وسط البيت ــ صموئيل الأول ١٨ : ١٠ ".

* * *

● **ضعف الاسرائيليين وتخلفهم :**

لم يكن شاول ــ أول ملك في اسرائيل ــ يملك على شعب مستقر في أرض ذات حدود ، بل كان كل نصيبه من ذلك مجرد اسم فقط . فلقد كان الاسرائيليون يعيشون جماعات متناثرة بين شعوب فلسطين التي كثيرا ما قاتلتهم وانتصرت عليهم : " تجمع الفلسطينيون لمحاربة اسرائيل . ثلاثة ألف مركبه وستة آلاف فارس وشعب كالرمل الذي على شاطيء البحرر في الكثرة .. ولما رأى رجال اسرائيل أنهم في ضنك ، لأن الشعب تضايق ، اختبأ الشعب في المغاير والغياض والصخور والصروح والآبار . وبعض العبرانيين عبروا الأردن إلى أرض جاد وجلعاد ــ صموئيل الأول ١٣ : ٥ ــ ٧ ".

ولم يكن ضعف الاسرائيليين وهزيمتهم يرجع إلى تفوق أعدائهم كما ونوعا ، بقدر ما كان يرجع إلى تخلف الاسرائيليين فنيا ، لدرجة انهم حتى ذلك الحين لم يوجد بينهم أي صانع يستطيع صنع اسلحتهم وعدتهم ، أو حتى شحذها ، بل كانوا يلجئون في ذلك العمل الفني إلى أعدائهم :

" خرج المخربون من محلة الفلسطينيين في ثلاث فرق .. ولم يوجد صانع في كل أرض اسرائيل . لأن الفلسطينيين قالوا لئلا يعمل العبرانيون سيفا أو رمحا بل كان ينزل كل اسرائيل إلى الفلسطينيين لكي يحدد كل واحد سكته ومنجله وفأسه ومعوله ، عندما كلت حدود السكك والمناجل والمثلثات الأسنان والفؤوس ولترويس المناسيس .

وكان في يوم الحرب أنه لم يوجد سيف ولا رمح بيد جميع الشعب الذي مع شاول ومع يوناثان ــ صموئيل الأول ١٣ : ١٧ ــ ٢٢ " .

* * *

وفي احدى المعارك بين الفلسطينيين والاسرائيليين ، قتل شاول وثلاثة من أبنائه ومثل بجثته أسوأ تمثيل :

" حارب الفلسطينيون اسرائيل فهرب رجال اسرائيل من أمام الفلسطينيين وسقطوا قتلى في جبل جلبوع . فشد الفلسطينيون وراء شاول وبنيه وضرب الفلسطينيون يوناثان وابيناداب وملكيشوع أبناء شاول .. فمات شاول وبنوه الثلاثة .. .

ولما رأى رجال اسرائيل الذين في عبر الوادي والذين في عبر الأردن أن رجال اسرائيل قد هربوا وان شاول وبنيه قد ماتوا تركوا المدن وهربوا ، فأتى الفلسطينيون وسكنوا بها .

وفي الغد لما جاء الفلسطينيون ليعروا القتلى وجدوا شاول وبنيه الثلاثة ساقطين في جبل جلبوع . فقطعوا رأسه .. وسمروا جسده على سور بيت شان ــ صموئيل الأول ٣١ : ١ ــ ١٠ .

* * *

مملكة داود (١٠٠٠ ـ ٩٦٠ ق.م)

● **الحجارة تهزم الدروع :**

بدأ شاول الملك يحقد على داود ــ الجندي البسيط ــ منذ قتل المحارب الجبار جليات المعتز بدروعه وأسلحته ، **قتله بحجر رماه بالمقلاع** فسقط على وجهه إلى الأرض ، فأسرع داود ينزع سيف جليات ويقطع به رأسه . وهناك بدأ الشعب يهتف باسم داود فأغاظ ذلك شاول الذي بدأ يتربص به ويطارده محاولا قتله .

ولقد تفتق ذهن شاول عن حيلة ماكرة يقتل بها داود ، وذلك بتزويجه احدى بناته نظير مهر يعرض داود للمخاطر ، ألا وهو قتل ١٠٠ من الفلسطينيين وقطع أعضاء ذكورتهم والاتيان بغلفها للملك . " ولم تكمل الأيام حتى قام داود وذهب هو ورجاله **وقتل من الفلسطينيين مئتى رجل واتى داود بغلفهم .. لمصاهرة الملك . فاعطاه شاول ميكال ابنته امرأة وعاد شاول يخاف داود بعد وصار شاول عدوا لداود كل الأيام** ــ صموئيل الأول ١٨ : ٢٦ ــ ٢٩ " .

وأخيرا ، رفض الرب شاول ونزع الملك منه في حياته .

* * *

● **اختيار داود ملكا :**

مسح صموئيل النبي داود بن يسى خلفا لشاول ، وقد تم ذلك بناء على أمر إلهي :

" قال الرب لصموئيل .. املأ قرنك دهنا وتعال ارسلك إلى يسى .. لأني قد رأيت لي في بنيه ملكا .. .

فأخذ صموئيل قرن دهن ومسحه في وسط اخوته . **وحل روح الرب على داود من ذلك اليوم فصاعدا** — صموئيل الأول ١٦ : ١ — ١٣ " .

وهكذا صار داود الملك الثاني والمسيح الثاني في اسرائيل بعد شاول أول ملك ومسيح .

* * *

● **داود لاجيء عند الفلسطينيين!**

استمر شاول في محاولاته لقتل داود والتخلص منه ، ولذلك لم يجد هذا الأخير بدا من الهرب بعيدا عن سطوة عدوه ، ولم يجد له ملجأ يحتمي به هو واتباعه الا بين الفلسطينيين أعداء الاسرائيليين . فبقى عندهم لاجئا لأكثر من عام :

" قال داود في قلبه انى سأهلك يوما بيد شاول ، **فلا شيء خير لي من أن أفلت إلى أرض الفلسطينيين ، فييأس شاول مني فلا يفتش عليّ بعد** .. فقام داود وعبر هو والست مئة رجل الذين معه إلى **أخيش بن معوك ملك جت** . وأقام داود عند أخيش في جت هو ورجاله ، كل واحد وبيته ، **داود وامرأتاه أخينوعم اليزرعيلية وايجايل امرأة نابال الكرملية** . فاخبر شاول ان داود قد هرب إلى جت **فلم يعد أيضا يفتش عليه** .. .

وكان عدد الايام التي سكن فيها داود في بلاد الفلسطينيين سنة وأربعة أشهر — صموئيل الأول ٢٧ : ١ — ٧ " .

* * *

● **قاطع طريق !**

تذكر لنا الأسفار ان داود كان يعيش على السطو على الشعوب والقبائل المجاورة أصحاب الأرض الأصليين ، فكان يغزوهم هو ورجاله بعنف وقسوة ويسلبون أموالهم ، ويقتلون كل نفس حية منهم حتى لا يبقى من يخبر بمذابحهم :

" صعد داود ورجاله وغزوا الجشوريين والجرزيين والعمالقة ، **لأن هؤلاء من قديم سكان الأرض ، وضرب داود الأرض ولم يستبق رجلا ولا امرأة** ، وأخذ غنما وبقرا وحميرا وجمالا وثيابا ورجع وجاء إلى أخيش .. لم يستبق داود رجلا ولا امرأة حتى يأتي إلى جت ، **إذ قال لئلا يخبروا عنا قائلين هكذا فعل داود .**

وهكذا عادته كل أيام اقامته في بلاد الفلسطينيين .

فصدق أخيش (ملك جت) داود قائلا : **قد صار مكروها لدى شعبه اسرائيل فيكون لي عبدا إلى الأبد** ـ صموئيل الأول ٢٧ : ٨ ـ ١٢ " .

وتؤكد لنا الأسفار أن هذه كانت عادة داود دائما حتى من قبل ان يتحول إلى لاجيء عند الفلسطينيين . فقد اعتاد على فرض الاتاوة على الناس واغتصاب أموالهم وثرواتهم بالقوة ، ثم استباحة دمائهم ان ابدوا شيئا من الضيق بأعمال العصابات التي مارسها هو ورجاله ، وقصة نابال خير شاهد على ذلك.وتتلخص القصة في أن داود طمع في شيء من خبز نابال وذبائحه في نظير انه لم يسلب شيئا من ممتلكاته من قبل ، فأرسل غلمانه ليستجدوه . لكن نابال رفض ذلك لأنه لم تكن له سابق معرفة أو علاقة بداود . فما كان من داود إلا أن خرج على رأس عصابته يطلب قتل نابال وأهله . ولما علمت زوجته أسرعت بهدية ترد بها غضب داود . وبعد أيام توفي نابال فضم داود أرملته الجميلة ابيجايل اليه امرأة . وفي هذا تقول الأسفار :

" كان رجل في معون واملاكه في الكرمل وكان الرجل عظيما جدا .. وكان يجز غنمه في الكرمل . واسم الرجل نابال واسم امرأته أبيجايل . **وكانت المرأة جيدة الفهم وجميلة الصورة** " .

فسمع داود في البرية ان نابال يجز غنمه .. فأرسل عشرة غلمان وقال داود للغلمان ادخلوا إلى نابال .. وقولوا هكذا : حين كان رعاتك معنا لم نؤذهم ولم يفقد لهم شيء كل الايام التي كانوا فيها في الكرمل .. فاعط ما وجدته يدك لعبيدك ولابنك داود .. .

فاجاب نابال : من هو داود .. آآخذ خبزي ومائي وذبيحي الذي ذبحت لجازى واعطيه لقوم لا أعلم من أين هم ؟! .

فتحول غلمان داود إلى طريقهم ورجعوا وجاءوا وأخبروه حسب كل هذا الكلام . فقال داود لرجاله : ليتقلد كل واحد منكم سيفه .. وصعد وراء داود نحو أربع مئة رجل ، ومكث مئتان مع الأمتعة . فأخبر ابيجايل امرأة نابال غلام من الغلمان .. .

فبادرت ابيجايل وأخذت مئتي رغيف وزقي خمر وخمسة خرفان .. وقالت لغلمانها اعبروا قدامي هأنذا جائية وراءكم .. إذا بداود ورجاله منحدرون لاستقبالها فصادفتهم . وقال داود : انما باطلا حفظت كل ما لهذا في البرية فلم يفقد من كل ماله شيء ، فكافأني شرا بدل خير . هكذا يصنع الله لأعداء داود ان أبقيت من كل ماله إلى ضوء الصباح بائلا بحائط .

ولما رأت ابيجايل داود أسرعت ونزلت عن الحمار وسقطت امام داود على وجهها وسجدت إلى الارض . وسقطت على رجليه وقالت : عليّ انا يا سيدي هذا الذنب .. والآن هذه البركة التي اتت بها جاريتك إلى سيدي .. واصفح عن ذنب امتك .. فقال داود لأبيجايل : مبارك الرب اله اسرائيل الذي ارسلك هذا اليوم لاستقبالي .. لأنك منعتني اليوم من اتيان الدماء وانتقام يدي لنفسي .. انك لو لم تبادري لاستقبالي لما ابقى لنابال إلى ضوء الصباح بائل بحائط . فأخذ داود من يدها ما اتت به .. .

وبعد نحو عشرة أيام ضرب الرب نابال فمات .. وارسل داود وتكلم مع ابيجايل

ليتخذها له امرأة .. فقامت وسجدت على وجهها إلى الأرض وقالت هوذا أمتك جارية لغسل أرجل عبيد سيدي .. وصارت له امرأة ــ صموئيل الأول ٢٥ : ٢ ــ ٤٢ ".

* * *

● داود يدعي الجنون !

تظهر لنا الاسسفار داود في صورة الرجل الذي لا يترفع عن فعل أي شيء يرى فيه مصلحته . فلقد تظاهر بالجنون أمام أخيش ملك جت ــ قبل ان يقيم عند لاجئا ــ وصار يسيل لعابه ويأتي بحركات المخبولين حتى يقبلوه بينهم كانسان ضعيف لا يخشى بأسه :

" قام داود وهرب في ذلك اليوم من أمام شاول وجاء إلى أخيش ملك جت فقال عبيد أخيش له : أليس هذا داود ملك الأرض ؟! .. فوضع داود هذا الكلام في قلبه وخاف جدا من أخيش ملك جت . فغير عقله في أعينهم وتظاهر بالجنون بين أيديهم وأخذ يخربش على مصاريع الباب ويسيل ريقه على لحيته .

فقال أخيش لعبيده : هوذا ترون الرجل مجنونا فلماذا تأتون به اليّ . ألعلي محتاج إلى مجانين حتى اتيتم بهذا ليتجنن عليّ ؟! ــ صموئيل الأول ٢١ : ١٠ ــ ١٥ ".

* * *

● داود مرتزق بين الفلسطينيين يلح على محاربة الاسرائيليين !

لقد لطخ كتبة الأسفار تاريخ داود ببقع سوداء كبيرة ترجع ــ حسب زعمهم ــ إلى سلوكه وسياسته التي اقامها على مبدأ لا أخلاقي يقضي بأن : الغاية تبرر الوسيلة ، بصرف النظر عما وراء ذلك . فلكي يحافظ داود على رضا الفلسطينيين عنه فإنه كان على استعداد تام للحرب في صفوفهم هو ورجاله كجنود مرتزقة ضد بني جلدتهم من الاسرائيليين . ولما استنكر رؤساء الفلسطينيين ذلك بغضا

منهم له بسبب عداوته القديمة ، كان داود يتوسل إلى أحد ملوكهم ـــ وهو أخيش ملك جت الذي عاش في كنفه ـــ من أجل أن يخرج معه للحرب ، ويعده بالنصر على أعدائه الاسرائيليين .

وفي هذا تقول الأسفار :

" جمع الفلسطينيون جميع جيوشهم إلى أخيش . وكان الاسرائيليون نازلين على العين التي في يزرعيل . وعبر اقطاب الفلسطينيين مئات وألوفا ، وعبر داود ورجاله في الساقة مع أخيش .

فقال رؤساء الفلسطينيين : **ما هؤلاء العبرانيون ؟!** فقال أخيش لرؤساء الفلسطينيين : أليس هذا داود عبد شاول ملك اسرائيل الذي كان معي هذه الأيام أو هذه السنين ولم أجد فيه شيئا من يوم نزوله إلى هذا اليوم .

وسخط عليه رؤساء الفلسطينيين وقال له رؤساء الفلسطينيين : أرجع الرجل فيرجع إلى موضعه الذي عينت له ولا ينزل معنا إلى الحرب .. .

فدعا أخيش داود : وقال له : حى هو الرب . إنك أنت مستقيم وخروجك ودخولك معي في الجيش صالح في عيني لأني لم أجد فيك شرا من يوم جئت إليّ إلى اليوم . فالآن ارجع واذهب بسلام .. .

فقال داود لأخيش : فماذا عملت وماذا وجدت في عبدك من يوم صرت أمامك إلى اليوم حتى لا آتي وأحارب أعداء سيدي الملك .

فأجاب أخيش وقال لداود : علمت أنك صالح في عيني كملاك الله . الا أن رؤساء الفلسطينيين قالوا لا يصعد معنا إلى الحرب . والآن فبكر صباحا مع عبيد سيدك الذين جاءوا معك .. فاذهبوا .

فبكر داود هو ورجاله لكي يذهبوا صباحا ويرجعوا إلى أرض الفلسطينيين . وأما الفلسطينيون فصعدوا إلى يزرعيل (لمحاربة الاسرائيلين) .. .

وحارب الفلسطينيون اسرائيل ، فهرب رجال اسرائيل من امام الفلسطينيين وسقطوا قتلى في جبل جلبوع ــ صموئيل الأول ٢٩ : ١ ــ ١٢ ، ٣١ : ١ " .

* * *

● **مملكة منقسمة :**

بعد مقتل شاول ، قام سبط يهوذا الذين ينتمي اليهم داود بمسحه ملكا عليهم :
" واتى رجال يهوذا ومسحوا هناك داود ملكا على بيت يهوذا ــ صموئيل الثاني ٢ : ٤ " .

لكن قائد جيش شاول سارع فأخذ ابن ملكه السابق ونصبه ملكا على بقية اسباط اسرائيل ، فصارت هناك مملكتان متناطحتان ، أو مملكة منقسمة على نفسها ، فهي مملكة فوضى واضطراب :

" أما أبنير بن نير رئيس جيش شاول ، فأخذ ايشبوشث بن شاول وعبر به إلى محنايم وجعله ملكا .. على كل اسرائيل . وكان ايشبوشث ابن أربعين سنة حين ملك على اسرائيل ، وملك سنتين .

وأما بيت يهوذا فانما اتبعوا داود . وكانت المدة التي ملك فيها داود في حبرون على بيت يهوذا سبع سنين وستة أشهر ..

وكانت الحرب طويلة بين بيت شاول وبيت داود ــ صموئيل الثاني ٢ : ٨ ــ ١١ ، ٣ : ١ " .

* * *

● **انقلاب في مملكة ابن شاول بسبب امرأة :**

لم يكن ايشبوشث بن شاول رجلا يحسن السياسة ، فقد عنف ابنير قائد جيشه بسبب سرية لأبيه طمع فيها . وعندئذ قرر أبنير ان ينتقم لنفسه بضم اسباط اسرائيل تحت لواء داود وعزل ابن شاول من مملكته . ولقد استطاع ابنير ان يفعل ذلك ويثبت مملكة داود بسبب امرأة :

" كان في وقوع الحرب بين بيت شاول وبيت داود أن ابنير تشدد لأجل بيت شاول . وكانت لشاول سرية اسمها رصفة .. **فقال ايشبوشث لأبنير : لماذا دخلت إلى سرية أبي . فاغتاظ ابنير جدا من كلام ايشبوشث** وقال : اليوم اصنع معروفا مع بيت شاول ابيك مع اخوته ومع اصحابه ولم أسلمك ليد داود **وتطالبني اليوم باثم المرأة !** .. انه كما حلف الرب لداود **كذلك اصنع له ، لنقل المملكة من بيت شاول واقامة كرسى داود على اسرائيل وعلى يهوذا من دان إلى بئر سبع** — صموئيل الثاني ٣ : ٦ — ١٠ " .

* * *

وبعد أن قرر أبنير العمل في خدمة داود وأرسل يخبره بذلك ، رحب داود على الفور الا أنه اشترط الا يريه وجهه الا بعد ان يرد اليه زوجته السابقة ميكال ابنه شاول ، كما رد اليه أسباط اسرائيل . ميكال هذه — التي تزوجها داود بمئة غلفة من الفلسطينيين — قد احتجزها أبوها من داود وزوجها لرجال آخر . وقد رد أبنير ميكال إلى داود ، وزوجها يسير معها ويبكي حبه المغتصب :

" أرسل أبنير من فوره رسلا إلى داود قائلا .. اقطع عهدك معي وهو ذا يدي معك لرد جميع اسرائيل اليك . فقال حسنا . انا اقطع معك عهدا **الا أني أطلب منك امرا واحدا وهو الا ترى وجهي ما لم تأت اولا بميكال بنت شاول حين تأتي لترى وجهي .**

وأرسل داود رسلا إلى ايشبوشث بن شاول يقول : أعطني امرأتي ميكال التي خطبتها لنفسي بمئة غلفة من الفلسطينيين .

فأرسل ايشبوشث واخذها من عند رجلها فلطئيل بن لايش . **وكان رجلها يسير معها ويبكي وراءها** . فقال له أبنيرا ارجع . فرجع — صموئيل الثاني ٣ : ١٢ — ١٦ " .

* * *

وأخيرا بعد ان تم القضاء على ابن شاول خلا الجو لداود بعض الوقت ، فجاء اليه " جميع اسباط اسرائيل .. ومسحوا داود ملكا على اسرائيل .

كان داود ابن ثلاثين سنة حين ملك . ملك أربعين سنة . في حبرون ملك على يهوذا سبع سنين وستة أشهر . وفي أورشليم ملك ثلاثا وثلاثين سنة على جميع اسرائيل ويهوذا .. .

وأخذ داود أيضا سرارى ونساء من أورشليم بعد مجيئه من حبرون ، فولد أيضا لداود بنون وبنات ـــ صموئيل الثاني ٥ : ١ ـــ ١٣ " .

* * *

● **ثورة ضد داود بقيادة ابنه :**

انفق داود سنوات حكمه في صراع مستمر في الداخل والخارج . ولعل أقسى ما تعرض له هو تلك الثورة المسلحة التي قادها ضده ابنه ابشالوم بعد أن استطاع أن يجمع الاسرائيليين حوله . لقد كانت حربا مريرة بين الأب وابنه حيث سار كل منهما على رأس جيش لمحاربة الآخر . وقد اضطر داود للهرب هو ورجاله من أورشليم حيث دخلها ابنه ابشالوم منتصرا .وهناك زنى بعشر من سرارى أبيه الكثيرات ، وذلك مبالغة في اذلاله . ولم تهدأ تلك الثورة الشعبية ضد داود الا بعد مصرع ابنه ابشالوم :

" استرق ابشالوم قلوب جميع رجال اسرائيل .. وارسل أبشالوم جواسيس في جميع اسباط اسرائيل قائلا : اذا سمعتم صوت البوق فقولوا قد ملك ابشالوم في حبرون .. .

وكانت الفتنة شديدة وكان الشعب لا يزال يتزايد مع أبشالوم . فأتى مخبر إلى داود قائلا : ان قلوب رجال اسرائيل صارت وراء أبشالوم .

فقال داود لجميع عبيده الذين معه في أورشليم : قوموا بنا نهرب لأنه ليس لنا

نجاة من وجه أبشالوم . اسرعوا للذهاب لئلا يبادر ويدركنا وينزل بنا الشر ويضرب المدينة بحد السيف .. .

فخرج الملك وجميع بيته وراءه . وترك الملك عشر نساء سراري لحفظ البيت .. .

وكانت جميع الأرض تبكي بصوت عظيم وجميع الشعب يعبرون وعبر الملك نحو طريق البرية .. أما داود فصعد باكيا ورأسه مغطى ويمشي حافيا وجميع الشعب الذين معه .. .

وأما أبشالوم وجميع الشعب ورجال اسرائيل فاتوا إلى اورشليم .. .

فنصبوا لأبشالوم الخيمة على السطح ودخل أبشالوم إلى سرارى أبيه أمام جميع اسرائيل .. .

وقال اخيتوفل لأبشالوم : دعني انتخب اثنى عشر ألف رجل واقوم وأسعى وراء داود هذه الليلة . فآتى عليه وهو متعب ومرتخي اليدين فأزعجه فيهرب كل الشعب الذي معه واضرب الملك وحده وارد جميع الشعب اليك .. فحسن الأمر في عينى أبشالوم واعين جميع شيوخ اسرائيل .. .

واحصى داود الشعب الذي معه .. وخرج الشعب إلى الحقل للقاء اسرائيل وكان القتال في وعر افرايم . فانكسر هناك شعب اسرائيل أمام عبيد داود وكانت هناك مقتلة عظيمة في ذلك اليوم قتل عشرون ألفا .. .

وكان أبشالوم راكبا على بغل فدخل البغل تحت اغصان البطمة العظيمة الملتفة فتلعق رأسه بالبطمة وعلق بين السماء والأرض .. فأخذوا أبشالوم وطرحوه في الوعر في الجب العظيم واقاموا عليه رجمة من الحجارة . وهرب كل اسرائيل كل واحد إلى خيمته ــ صموئيل الثاني ١٥ : ٦ ــ ٣١ ، ١٦ : ١٥ ــ٢٢، ١٧ : ١ ــ ٥ ، ١٨ : ١ ــ ١٧ " .

* * *

● ثورة أخرى ضد داود :

ما كاد داود يأخذ طريقه عائدا إلى اورشليم ، بعد القضاء على ثورة ابنه أبشالوم ، حتى ظهر له ثائر آخر من سبط بنيامين استطاع ان يجمع حوله كل الاسرائيليين عدا سبط يهوذا . لكنه قتل أخيرا وعاد الملك لداود :

" واتفق هناك رجل لئيم اسمه شبع بن بكرى رجل بنياميني فضرب بالبوق وقال : ليس لنا قسم في داود .. كل رجل إلى خيمته يا اسرائيل .. .

فصعد كل رجال اسرائيل من وراء داود إلى وراء شبع بن بكرى . واما رجال يهوذا فلازموا ملكهم من الأردن إلى اورشليم .. .

فقال داود لأبيشاى : الآن يسيء إلينا شبع بن بكري اكثر من أبشالوم . فخذ انت عبيد سيدك واتبعه لئلا يجد لنفسه مدنا حصينه وينفلت من أعيننا . فخرج وراءه .. فقطعوا راس شبع بن بكرى ــ صموئيل الثاني ٢٠ : ١ ــ ٢٢ " .

* * *

● داود يحرق أسرى الحرب في الأفران !

إضافة إلى الاضطرابات الداخلية في مملكة داود ، فقد كانت له حروب مستمرة مع الشعوب الفلسطينية ، وكثيرا ما تعرض فيها للقتل . وتصور لنا الأسفار داود عنيفا في حروبه يريق كثيرا من الدماء وينزل بأعدائه صنوفا من العذاب . وكان يعامل الأسرى معاملة وحشية ، فيأمرهم فينبطحون أرضا ثم يأخذ حبلا يقيس بطوله مرتين عدد الذين أراد لهم القتل ، ثم يقيس بطوله مرة لمن اراد لهم الحياة ليكونوا عبيدا له . وكثيرا ما كان داود يعذب اسراه بتقطيعهم اربا بالمناشير والنوارج . ويحرق البعض الآخر بطرحهم في أفران من الآجر[١] :

---

(١) حسب ترجمة الكاثوليك الصادرة عن دار المشرق ببيروت ، مع ملاحظة أن سفر الملوك الثاني في هذه الترجمة يناظر سفر صموئيل الثاني في ترجمة البروتستانت .

« ضرب الموآبيين وقاسهم بالحبل ، أضجعهم على الأرض ، فقاس منهم حبلين للقتل وطول حبل للاستبقاء ، وصار الموآبيون عبيدا لداود يؤدون الجزية ـــ صموئيل الثاني ٨ : ٢ » .

« جمع داود جميع الشعب وسار إلى ربة فحاربها وأخذها . وأخذ تاج ملكهم عن رأسه وكان وزنه قنطار من الذهب بالحجارة الكريمة فكان فوق رأس داود ، واخرج من المدينة غنيمة وافرة جدا .

وأخرج الشعب الذين فيها ووضعهم تحت مناشير ونوارج من حديد وفؤوس من حديد ، وطرح منهم في أتون الآجر .

وهكذا صنع بجميع مدن بني عمون ـــ صموئيل الثاني ١٢ : ٢٩ ـــ ٣١ »[1] .

* * *

ولهذا عرف داود في زمانه وبين عشيرته من الاسرائيليين بأنه رجل دماء . ففى أثناء ثورة ابنه ابشالوم ، خرج عليه رجل « من عشيرة بيت شاول اسمه شمعى بن جيرا يسب .. ويرشق بالحجارة داود وجميع عبيد الملك .. وكان يقول في سبه : **اخرج اخرج يا رجل الدماء ..** قد ردَّ الرب عليك كل دماء بيت شاول الذى ملكت عوضا عنه وقد دفع الرب المملكة ليد ابشالوم ابنك ، وها أنت واقع بشرك لأنك رجل دماء .

فقال ابيشاى ابن صروية للملك : لماذا يسب هذا الكلب الميت سيدى الملك ؟ ..

فقال الملك .. دعوه يسب لأن الرب قال له سب داود .

وقال داود لابيشاى ولجميع عبيده : هوذا ابنى الذى خرج من أحشائى يطلب نفسى (للقتل) فكم بالحرى الآن بنيامينى . **دعوه يسب لأن الرب قال له ـــ** صموئيل الثانى ١٦ : ٥ ـــ ١١ » .

---

(١) انظر الملحق رقم (٢) في نهاية الكتاب .

● داود وامرأة أوريا الحثي ! ....

ثم كانت بقعة سوداء كبيرة ألصقها كتبة الأسفار بتاريخ داود حين زعموا أنه وقع في غرام زوجة أحد جنوده من أول نظرة عندما كان " يتمشى على سطح بيت الملك فرأى امرأة تستحم . وكانت المرأة جميلة المنظر جدا . فأرسل داود وسأل عن المرأة فقال واحدا أليست هذه بثشبع امرأة أوربا الحثى .؟

فأرسل داود رسلا وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهى مطهرة من طمثها . ثم رجعت إلى بيتها .

وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت : إني حبلى .

فأرسل داود إلى يوآب يقول أرسل إلى أوريا الحثى . فأرسل يوآب أوريا إلى داود ـــ صموئيل الثاني ١١ : ٢ ـــ ٦ » .

لقد أسرع داود يستدعى زوجها من الحرب لعله ينام معها فتضيع بذلك معالم الجريمة لكن الجندى الشهم أوريا رفض النزول إلى بيته تضامنا مع رفاقة جنود الجيش الذين يعانون مشاق الحرب وأهوالها . ولم يكن هذا كافيا لايقاظ داود ورده عن غيه ، بل ان الأمر ازداد سواءا وتعاظمت الخطيئة حين قرر داود قتل الزوج ، فأرسل معه كتابا إلى قائد الجيش يوآب يتآمر فيه على رجله المخلص ويطلب التخلص منه .

ولقد نفذ القائد أوامر سيده ، وقتل الجندى ، فأرسل داود وضم المرأة التى زنى بها إلى نسائه . وكانت هى الزوجة التى ولدت له فيما بعد ابنه سليمان حكيم زمانه ! .

* * *

ولما بلغ داود السبعين من عمره شاخ « وتقدم فى الأيام . وكانوا يدثرونه فلم يدفأ . فقال له عبيده ليفتشوا لسيدنا الملك على فتاة عذراء فلتقف أمام الملك ولتكن له حاضنة ، ولتضطجع في حضنك فيدفأ سيدنا الملك . فتشوا على فتاة

جميلة في جميع تخوم اسرائيل فوجدوا أبيشج الشونمية فجاءوا بها إلى الملك . وكانت الفتاة جميلة جدا ، فكانت حاضنة الملك ـــ الملوك الأول ١ : ١ ـــ ٤ » .

وأخيرا مات داود ودفن في التراب كما يموت ويدفن كل الناس .

* * *

مملكة سليمان (٩٦٠ - ٩٢٥ ق . م .)

●سليمان يرث مملكة أبيه :

انجب داود من نسائه الكثيرات عددا من البنين والبنات منهم : « البكر أمنون من أخينوعم اليزر عيلية . الثانى دانيئيل من أبيجايل الكرملية . الثالث أبشالوم ابن معكة بنت تلماى ملك جشور . الرابع أدونيا ابن حجيث . الخامس شفطيا من أبيطال . السادس يثرعام من عجلة امرأته . **ولد له ستة في حبرون** ..

وهولاء ولدوا له في أورشليم : شمعى ، وشوباب ، وناثان ، وسليمان . **أربعة** من بثشوع بنت عميئيل . ويجار ، واليشامع ، وأليفاط ، ونوجه ، ونافج ، ويافيع ، وأليشمع ، وأليادا ع ، واليفلط . **تسعة** . الكل بنو داود **ما عدا بنى السرارى** . وثامار هى أختهم ــ أخبار الأيام الأول ٣ : ١ ــ ٩ » **لقد كانت ثامار هذه أختا شقيقة لأبشالوم ، اغتصبها أخوها أمنون ، فحقد عليه ابشالوم وقتله** (صموئيل الثانى ١٣ : ١ ــ ٢٩) .

« ولم يكن لميكال بنت شاول ولد إلى يوم موتها ــ صموئيل الثانى ٦ : ٢٣ » .

* * *

ولقد كانت بثشبع ــ امرأة أوريا الحثى سابقا ــ تتمتع بمنزلة خاصة في قلب داود ، وكانت تعلم ذلك . ولهذا استطاعت أن تحصل منه على وعد بتوريث المملكة لابنها سليمان ، واقصاء من بقى حيا من اخوته الآخرين عن الحكم . ولقد وثق داود وعده لبثشبع بقسم غليظ .

لكن أدونيا ــ ابنه من حجيث ــ انتهز فرصة ضعف أبيه فى أيامه الأخيرة ، وأعلن توليه المملكة . وهنا تحركت بثشبع ومن شايعها من الحاقدين على أدونيا ، واستطاعت انتزاع المملكة لابنها سليمان :

« ثم أن ادونيا ابن حجيث ترفع قائلا : أنا ملك . وعد لنفسه عجلات وفرسانا وخمسين رجلا يجرون أمامه .

ولم يغضبه أبوه قط قائلا لماذا فعلت هكذا .

وهو أيضا جميل الصورة جدا وقد ولدته أمه بعد ابشالوم . وكان كلامه مع يوآب ابن صرويه ومع ابياثار الكاهن فأعانا أدونيا .

وأما صادوق الكاهن وبناياهو بن يهوياداع وناثان النبى وشمعى وريعي .. فلم يكونوا مع أدونيا . فذبح أدونيا غنما وبقرا ومعلوفات .. ودعا جميع اخوته بنى الملك وجميع رجال يهوذا عبيد الملك . وأما ناثان النبى وبنايا هو والجبابرة وسليمان اخوه فلم يدعهم .

فكلم ناثان بثشبع أم سليمان قائلا : أما سمعت أن أدونيا ابن حجيث قد ملك وسيدنا داود لا يعلم . فالآن تعالى اشير عليك مشورة فتنجى نفسك ونفس ابنك سليمان . اذهبي وادخلى إلى الملك داود وقولى له : أما حلفت أنت يا سيدى الملك لأمتك قائلا أن سليمان ابنك يملك بعدى وهو يجلس على كرسى . فلماذا ملك أدونيا . **وفيما انت متكلمة هناك مع الملك أدخل أنا وراءك واكمل كلامك .**

فدخلت بثشبع إلى الملك إلى المخدع وكان الملك قد شاخ جدا وكانت

ابيشج الشونمية تخدم الملك . فخرت بشبع وسجدت للملك .. وبينما هى متكلمة مع الملك إذا ناثان النبى داخل . .

وقال الملك داود .. اركبوا سليمان ابنى على البغلة التى لى .. ليمسحه هناك صادوق الكاهن وناثان النبى ملكا على اسرائيل ــ الملوك الأول ١ : ٥ ــ ٣٤ » .

وهكذا تحولت وراثة المملكة لصالح سليمان بفضل الخطة السرية التى وضعها ناثان النبي ونفذها بالاشتراك مع أم سليمان .

* * *

●سليمان يبدأ حكمه بقتل أخيه :

بدأ سليمان حكمه بالانتقام من خصومه وأولهم أخيه الأكبر أدونيا ومن شايعه مثل يوآب قائد الجيش وابياثار الكاهن . وما كان قتل سليمان لأخيه ادونيا بسبب تمرد قام به الأخير ، لكنه حدث عندما طلب أدونيا من أم سليمان أن تتوسط له لدى ابنها الملك لكى يعطيه ابيشج الشونمية الجميلة لتكون له امرأة . وكان رد سليمان على ذلك هو قتل اخيه أدونيا ومن شايعه : « جاء أدونيا .. إلى بثشبع أم سليمان . فقالت ألسلام جئت . فقال للسلام . ثم قال : أنت تعلمين أن المُلك كان لى وقد جعل اسرائيل وجوهم نحوى لأملك ، فدار الملك وصار لأخى لأنه من قِبل الرب صار له .

والآن اسألك سؤالا واحد فلا تردينى فيه .. قولى لسليمان الملك .. أن يعطينى ابيشج الشونمية امرأة .. فدخلت بثشبع إلى الملك سليمان لتكلمه عن أدونيا .. فقال لها الملك : اسألى يا أمى لأنى لا أردك . قالت : لتعط ابيشج الشونمية لِادونيا أخيك امرأة .

فأجاب الملك سليمان وقال لأمه : ولماذا أنت تسألين ابيشج الشونمية لأدونيا فأسألى له الملك لأنه أخى الأكبر منى . له ولأبياثار الكاهن وليوآب بن صروية . وحلف سليمان بالرب قائلا : إنه اليوم يقتل ادونيا . فارسل الملك سليمان بيد بنايا هو بن يهوداع فبطش به فمات .

وقال الملك لأبياثار الكاهن : إذهب إلى عناتوث لأنك مستوجب الموت ولست اقتلك في هذا اليوم .. فأتى الخبر إلى يوآب .. فهرب يوآب إلى خيمة الرب وتمسك بقرون المذبح .. فأرسل سليمان بنا يا هو .. قائلا : اذهب ابطش به .. وبطش به وقتله .. وجعل الملك بناياهو .. مكانه على الجيش وجعل الملك صادوق الكاهن مكان أبياثار ــ الملوك الأول ٢ : ١٣ ــ ٣٥ » .

* * *

●بناء بيت للرب وبيت للملك :

بعد أن استقرت أمور الحكم لسليمان بدأ يهتم بالعمارة والتشييد فأقام بيتا للرب للعبادة وقصورا لنسائه . واستعان في ذلك بالعمال المهرة من لبنان وغيرهم لعدم وجود أى من امثالهم بين الاسرائيليين . وقد اقتضت تلك الأعمال تسخير الآلاف من البشر لمدة ٢٠ عاما :

« ارسل سليمان إلى حيرام (ملك صور) يقول انت تعلم داود أبي أنه لم يستطع أن يبني بيتا لاسم الرب إلَهَهُ بسبب الحروب التى احاطت به . والآن فقد اراحني الرب إلهى من كل الجهات .. وهأنذا قائم على بناء بيت لاسم الرب الهى .. .

والآن فأمر أن يقطعوا لى أرزا من لبنان يكون عبيدى مع عبيدك وأجرة عبيدك أعطيك إياها حسب كل ما تقول لأنك تعلم أنه ليس بيننا أحد يعرف قطع الخشب مثل الصيدونيين .

وسخر الملك سليمان من جميع اسرائيل وكانت السخر ثلاثين ألف رجل .. وكان لسليمان سبعون ألفا يحملون أحمالا ، وثمانون ألفا يقطعون فى الجبل ــ الملوك الأول ٥ : ١ ــ ١٥ » .

« في السنة الرابعة لملك سليمان على اسرائيل أنه بنى البيت للرب . والبيت الذى بناه الملك سليمان للرب طوله ستون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا

وسمكه ثلاثون ذراعا . والرواق قدام هيكل البيت طوله عشرون ذراعا حسب عرض البيت وعرضه عشر أذرع قدام البيت .. .

وأما بيته فبناه سليمان في ثلاث عشرة سنة واكمل كل بيته . وبنى بيت وعر لبنان طوله مئة ذراع وعرضه خمسون ذراعا وسمكه ثلاثون ذراعا .. وعمل رواق الأعمدة طوله خمسون ذراعا وعرضه ثلاثون ذراعا . ورواقا آخر قدامها .. وعمل رواق الكرسى .. وبيته الذى يسكنه في دار آخرى داخل الرواق .. وعمل بيتا لابنة فرعون التى أخذها سليمان كهذا الرواق ــ الملوك الأول ٦ : ١ ــ ٣ ، ٧ : ١ ــ ٨ » .

وبهذا يكون هيكل سليمان ــ طوله ٢٧ مترا وعرضه ٩ أمتار ــ قد استغرق بناؤه ٤ سنوات . أما بيت سليمان ــ طوله ٤٥ مترا وعرضه ٢٢,٥ مترا ــ فقد استغرق بناؤه ١٣ سنة .

* * *

« وبعد نهاية عشرين سنة بعد ما بنى سليمان البيتين : بيت الرب وبيت الملك .. أعطى حينئذ الملك سليمان حيرام (ملك صور) عشرين مدينة في أرض الجليل . فخرج حيرام من صور ليرى المدن التى اعطاه اياها سليمان فلم تحسن في عينيه ــ الملوك الأول ٩ : ١٠ ــ ١٢ » .

* * *

● نهاية خاسرة لسليمان وانقسام مملكته ! .

لقد بلغ ضلال كتبة الأسفار مداه حين ذكروا أن سليمان في نهاية عمره قد ضل ضلالا بعيدا بلغ به حد الكفر ، إذ كان يبني النصب للمعبودات الوثنية ويقدم لها القرابين إرضاء لنساءه الكثيرات اللاتى بلغ عددهن ١٠٠٠ امرأة : « واحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون : موآبيات وعمونيات وادوميات وصيدونيات وحثيات . من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني اسرائيل لا تدخلوا

إليهم وهم لا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم . فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة .

وكان له سبع مئة من النساء السيدات وثلاث مئة من السراري فأمالت نساؤه قلبه . وكان فى زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملا مع الرب آلهه كقلب داود أبيه .

فذهب سليمان وراء عشتورث الاهة الصيدونيين .. وعمل سليمان الشر فى عينى الرب .. حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس الموآبيين .. ولمولك رجس بنى عمون . وهكذا فعلى لجميع نسائه الغريبات اللواتى كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن — الملوك الأول ١١ : ١ — ٨ » .

ونتيجة لذلك الكفر المفترى على سليمان فقد استحق غضب الله وعقابه ، فبدأت ضده الثورات والقلاقل تمهيدا لتمزيق المملكة وبعثرتها :

غضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب إله اسرائيل الذي تراءى له مرتين (حين جاءه الوحى) واوصاه في هذا الأمر أن لا يتبع آلهة آخرى . فلم يحفظ ما اوصى به الرب .

فقال الرب لسليمان : من أجل أن ذلك عندك ولم تحفظ عهدى وفرائضى التى أوصيتك بها فإني أمزق المملكة عنك تمزيقا واعطيها لعبدك .. وأقام الرب خصما لسليمان : هدد الأدومي ....
وأقام الرب له خصما آخر : رزون بن اليداع ..
ويربعام بن باط .. عبد لسليمان .. رفع يده على الملك — الملوك الأول ١١ : ٩ — ٢٦ » .

وهكذا نجد أن المملكة الصغيرة التى أقامها الاسرائيليون في أجزاء من فلسطين — والتى لم تضم إليها في يوم من الأيام حتى فى عهد سليمان الذي كان يمثل قمة التواجد الاسرائيلى في فلسطين — لم تضم السهل الساحلى الممتد حول

غزة وعسقلون واشدود ويافا ، ولم تستطيع أن تطرد الشعب العربي بقبائله التى بقيت مقيمة فى أراضيها ، بعد أن عجزت كل محاولات الاسرائيليين لاستئصالهم منها . فعلى عهد سليمان تقول الأسفار : « **جميع الشعب الباقين** من الاموريين والحثيين والفرزين واليبوسيين ، **الذين ليسوا من بنى إسرائيل** . ابناؤهم الذين بقوا من بعدهم في الأرض ، **الذين لم يقدر بنو اسرائيل أن يحرموهم** ، جعل عليهم سليمان تسخير عبيد ــ الملوك الأول ٩ : ٢٠ ــ ١١ » ــ هذه المملكة سرعان ما بدأت في التمزق والانهيار ، ولمّا تعمر أكثر من بضع عشرات من السنين ، وحق لها أن تعرف باسم : **مملكة الدماء والفساد**

* * *

السبي والضياع

● انشقاق المملكة :

يقول جيمس باركس : « ان القبائل الاسرائيلية لم تستطيع أن تقيم فيما بينها وحدة سياسية لها قيمة في يوم من الإيام ، إلا إذا كانت قد أفلتت من قبضة كل من مصر والعراق القديم .

فبعد مرور الألف الثانى من قبل الميلاد كانت كل من هاتين الامبراطورتيين تعانى الضعف ، وعندئذ ظهر شاول ثم تبعه داود حيث استولى على مساحة من الأرض وأقام جيشا ونظم إدارة .

ولقد كانت المملكة التى أقامها داود قصيرة العمر ، فقد انقسمت بمجرد موت ابنه سليمان إلى قسمين : أحدهما ، المملكة الجنوبية أو مملكة يهوذا ، وقد اتخذت أورشليم التى استولى عليها داود من اليبوسيين ، عاصمة لها ، وانتسب إليها اليهود فيما بعد . أما الثانية ، فهى المملكة الشمالية أو مملكة اسرائيل ، وقد صارت السامرة عاصمة لها ، وانتسب إليها السامريون .

ولقد كان من النادر وجود صفاء بين هاتين الولايتين الصغيرتين بل كانتا غالبا فى عداء سافر .

وعلى أى حال ، فقد استطاعتا البقاء فترة من الزمن لسبب واحد فقط ، وهو أن أيا من الأمبراطوريات القديمة لم ترغب في مد حدودها على حسابها[1] » .

* * *

● الصورة العامة للمملكتين :

عاشت مملكة اسرائيل أو مملكة الشمال نحو قرنين من الزمان ، وقد ضمت عشرة أسباط وكانت اكثر عددا وقوة من اختها مملكة يهوذا أو مملكة الجنوب ، إلى أن قضى عليها الأشوريون عام ٧٢٢ ق . م . وقد اقتلعوا شعبها و حملوه معهم في سبى كبير ثم ذرّوه بين شعوب الامبراطورية الاشورية . ولم يعرف لهم أثر حتى اليوم ولم تبق لهم إلا تسمية هى الأسباط العشرة المفقودين .

ولقد استطاعت مملكة الجنوب التى ضمت سبطى يهوذا وبنيامين أن تقاوم عوامل الفناء بعد اختها مملكة الشمال نحو مائة وثلاثين عاما إلى ان قضى عليها الكلدانيون عام ٥٨٧ ق . م . وأخذوا شعبها سبايا إلى أرض بابل .

وخلال الفترة التى عاشتها كل من المملكتين نجد أن الصورة المشتركة لكليهما وهى في نفس الوقت الصورة العامة لكل منهما كالآتى :

● مملكتا كفر وفساد :

لقد ارتدوا عن التوحيد إلى الوثنية وما صاحب ذلك من فساد وانحلال منذ اليوم الأول . وها هو يربعام ـــ الذى كان عبدا لسليمان ـــ يستغل رغبة الاسرائيليين الدفينة في عبادة العجول الذهبية ، فأقام لشعبه في مملكة الشمال « عجلى ذهب وقال لهم : هوذا آلهتك يا اسرائيل الذين اصعدوك من ارض مصر . ووضع واحدا في بيت ايل وجعل الآخر فى دان ..

والزمان الذي ملك فيه يربعام اثنتان وعشرين سنة ـــ الملوك الأول ١٢ : ٢٨ ، ١٤ : ٢٠ » .

---

(١) المرجع ١٥ : ص ١٠ ـــ ١١ .

وكذلك ضلت مملكة الجنوب التي ولى عليها رحبعام بن سليمان منذ اليوم الأول . « كان رحبعام ابن احدى وأربعين سنة حين ملك ، وملك سبعة عشر سنة .. وعمل يهوذا الشر في عينى الرب وأغاروه أكثر من جميع ما عمل آباؤهم بخطاياهم التى أخطأوا بها .. فعلوا كل أرجاس الأمم الذين طردهم الرب من أمام بنى اسرائيل — الملوك الأول ١٤ : ٢١ — ٢٤ » ويتكرر نفس المشهد عبر تاريخ كل من المملكتين . وكان هذا واقع الحال في مملكة الشمال طيلة عهود ملوكها : ناداب (**الملوك الأول** ١٥ : ٢٦) ، بعشا (١٥ : ٣٤) ، أيله (١٦ : ١٣) ، زمرى (١٦ : ١٩) ، عمرى (١٦ : ٢٥) ، آخاب (١٦ : ٣٠) ، أخزيا (٢٢ : ٥٢) ، يهورام (**الملوك الثانى** ٣ : ٢ — ٣) ، ياهو (١٠ : ٣١) ، يهوأحاز (١٣ : ٢) ، يهوآش (١٣ : ١١) ، يربعام الثانى (١٤ : ٢٤) ، زكريا (١٥ : ٩) ، منحيم (١٥ : ١٨) ، فقحيا (١٥ : ٢٤) ، فقح (١٥ : ٢٨) ، هوشع (١٧ : ٢) .

وتلخص لنا الاسفار ما كان من أمر مملكة الكفر والوثنية هذه ، مملكة اسرائيل ، فتقول : « ان بنى اسرائيل أخطأوا إلى الرب الههم .. واتقوا آلهة أخرى . وسلكوا حسب فرائض الأمم الذين طردهم الرب من أمام بنى اسرائيل وملوك اسرائيل الذين أقاموهم . وعمل بنو اسرائيل سرا ضد الرب الههم أمورا ليست بمستقيمة وبنوا لأنفسهم مرتفعات في جميع مدنهم .. وأقاموا لأنفسهم انصابا وسوارى على كل تل عال وتحت كل شجرة خضراء .. وعبدوا الأصنام التى قال الرب لهم عنها لا تعملوا هذا الأمر ورفضوا فرائضه وعهده الذى قطعه مع آبائهم .. وساروا وراء الباطل وصاروا باطلا .. وتركوا جميع وصايا الرب الههم وعملوا لأنفسهم مسبوكات عجلين وعملوا سوارى وسجدوا لجميع جند السماء وعبدوا البعل . وعبروا بنيهم وبناتهم في النار .. وباعوا أنفسهم لعمل الشر في عينى الرب لاغاظته .

فغضب الرب جدا على اسرائيل ونحاهم من أمامه ولم يبق إلا سبط يهوذا

وحده . ويهوذا أيضا لم يحفظوا وصايا الرب الههم بل سلكوا فى فرائض اسرائيل التى عملوها . فرذل الرب كل نسل اسرائيل وأذلهم ودفعهم ليد ناهبين حتى طرحهم من أمامه ـــ الملوك الثانى ١٧ : ٧ ـــ ٢٠ » .

وهكذا كان الكفر والوثنية والفساد طابع مملكة اسرائيل ، مملكة الشمال ، إلى أن قضى عليها الاشوريون قضاء مبرما .

وكذلك كان الكفر والوثنية هو طابع مملكة يهوذا ، مملكة الجنوب ، طيلة عهود ملوكها : أبيام (**الملوك الأول** ١٥ : ٣) ، يهورام (**الملوك الثانى** ٨ : ١٨) ، اخزيا (٨ : ٢٧) ، عثليا (١١ : ١٨) ، امصيا (١٤ : ٤) ، عزريا (١٥ : ٤) ، يوثام (١٥ : ٣٥) ، آحاز (١٦ : ٢) ، منسى (٢١ : ٢) ، آمون (٢١ : ٢) ، يهوآحاز (٢٣ : ٣٢) ، يهوياقيم (٢٣ : ٣٧) ، يهوياكين (٢٤ : ٩) ، صدقيا (٢٤ : ١٩) .

وتلخص لنا الأسفار ما كان من مملكة الكفر والوثنية هذه ، مملكة يهوذا ، فتقول : « أن جميع رؤساء الكهنة والشعب اكثروا الخيانة حسب كل رجاسات الأمم ونجسوا بيت الرب الذي قدسه في اورشليم . فأرسل الرب إله آبائهم إليهم عن يد رسله مبكرا ومرسلا .. فكانوا يهزأون برسل الله ورذلوا كلامه وتهاونوا بأنبيائه حتى ثار غضب الرب على شعبه حتى لم يكن شفاء . فأصعد عليهم ملك الكلدانيين فقتل مختاريهم بالسيف في بيت مقدسهم . ولم يشفق على فتى أو عذراء ولا على شيخ أو أشيب بل دفع الجميع ليده . وجميع آنية بيت الله الكبيرة والصغيرة وخزائن بيت الرب وخزائن الملك ورؤسائه أتى بها جميعا إلى بابل . واحرقوا بيت الله وهدموا سور أورشليم واحرقوا جميع قصورها بالنار وأهلكوا جميع آنيتها الثمينة . وسبى الذين بقوا من السيف إلى بابل فكانوا له ولبنيه عبيدا ـــ أخبار الأيام الثانى ٣٦ : ١٤ ـــ ٢٠ » .

* * *

● **مملكتان في عداء وحروب :**

لقد كان العداء سافرا بين المملكتين ، وكانت الحرب بينهما ساخنة منذ يومهما الأول « وكانت حرب بين رحبعام (ملك يهوذا) ويربعام (ملك اسرائيل) كل الأيام ــ الملوك الأول ١٤ : ٣٠ » .

« وكانت حرب بين أبيام (ملك يهوذا) ويربعام (ملك اسرائيل) ــ الملوك الأول ١٥ : ٧ » « وكانت حرب بين آسا (ملك يهوذا) وبعشا ملك اسرائيل كل أيامهما ــ الملوك الأول ١٥ : ١٦ » .

وفى الحرب بين المملكتين كانت الواحدة منهما تلجأ إلى حليف قوى ــ غريب عن الاسرائيليين ــ تستعديه على أختها ، بعد أن تقدم له الهدايا مشفوعة بمراسم الذلة والخضوع . فحين تعرضت مملكة يهوذا لغزو من مملكة اسرائيل ، اسرع آسا حاكم الأولى إلى ملك ارام ــ في دمشق ــ يستنجد به ويغريه بذهب الهيكل وفضته ، لكى يحميه : « صعد بعشا ملك اسرائيل على يهوذا وبنى الرامة لكى لايدع أحدا يخرج أو يدخل إلى آسا .. وأخذ آسا جميع الفضة والذهب الباقية في خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك ودفعها ليد عبيده وأرسلهم الملك آسا إلى بنهدد ملك ارام الساكن في دمشق قائلا : هوذا قد أرسلت لك هدية من فضة وذهب فتعال انقض عهدك مع بعشا ملك اسرائيل فيصعد عنى . فسمع بنهدد للملك آسا وأرسل رؤساء الجيوش التى له على مدن اسرائيل .. ولما سمع بعشا كف عن بناء الرامة ــ الملوك الأول ١٥ : ١٧ ــ ٢١ » .

* * *

ولقد حاولت مملكة يهوذا أن تتحدى اختها مملكة إسررائيل فى مواجهة لم تلبث أن تحولت إلى حرب ساخنة ، هزمت فيها الأولى وخربت اورشليم وهيكلها : « ارسل أمصيا (ملك يهوذا) رسلا إلى يهوآش ملك اسرائيل قائلا: هل نتراء مواجهة ؟ .. فصعد يهوآش ملك اسرائيل وتراءيا مواجهة هو وأمصيا ملك يهوذا في بيت شمس التى ليهوذا . فانهزم يهوذا أمام اسرائيل وهربوا كل واحد إلى خيمته .

وأما أمصيا ملك يهوذا فأمسكه يهوآش ملك اسرائيل في بيت شمس وجاء إلى أورشليم وهدم سور اورشليم .. وأخذ كل الذهب والفضة وجميع الآنية الموجودة في بيت الرب وفى خزائن بيت الملك ورجع إلى السامرة ـــ الملوك الثانى ١٤ : ٨ ـــ ١٤ »[١] .

* * *

وجاء وقت كانت فيه مملكة اسرائيل فى حلف مع الأراميين لتقاتل أختها مملكة يهوذا التى استنجدت بالأشوريين ودفعت لهم الجزية :

« صعد رصين ملك أرام وفقح ملك اسرائيل إلى أورشليم للمحاربة فحاصروا آحاز (ملك يهوذا) . فى ذلك الوقت ارجع رصين ملك ارام أيلة للاراميين وطرد اليهود من أيلة وجاء الاراميون إلى أيلة وأقاموا هناك .. .

وارسل آحاز رسلا إلى تغلت فلاسر ملك أشور قائلا : أنا عبدك وابنك . اصعد وخلصنى من يد ملك ارام ومن يد ملك اسرائيل القائمين على . فأخذ آحاز الفضة والذهب الموجودة في بيت الرب وفى خزائن بين الملك وارسلها إلى ملك أشور هدية . فسمع له ملك أشور ـــ الملوك الثانى ١٦ : ٥ ـــ ٩ » .

* * *

● **ضياع مملكة اسرائيل :**

تؤكد الأسفار رأى الباحثين ـــ ومنهم جيمس باركس ـــ بأن الصورة التى كان يظهر بها الوجود الاسرائيلى في فلسطين ، قد ارتبطت على مر العصور بالحالة في كل من مصر والعراق القديم ، وبالعلاقات بينهما . كما كانت عوامل الحقد والبغضاء بين المملكتين من أسباب التعجيل بنهايتيهما .

ففى عهد تجلات بلاسر الثالث (٧٤٥ ـــ ٧٢٧ ق . م .) بدأت الامبراطورية الاشورية فى توسيع حدودها . ومن أن جاء عام ٧٣٨ ق . م . حتى كان منحيم حاكم اسرائيل يدفع الجزية لملك اشور ، ويستغل عمالته للاشوريين في تثبيت سلطانه :

---

(١) انظر الملحق رقم (٣) في نهاية الكتاب .

" ملك منحيم بن جادى على اسرائيل في السامرة عشر سنين .. فجاء فول[1] ملك أشور على الأرض فأعطى منحيم لفول ألف وزنة من الفضة لتكون يداه معه ليثبت المملكة في يده » . وبعد موت منحيم ملك ابنه فقحيا بعده لمدة سنتين إلى أن قتله أحد رجاله ويدعى فقح بن رمليا بدلا منه . « وفي أيام فقح ملك اسرائيل جاء تغلث فلاسر ملك اشور وأخذ عيون وآبل بيت معكة ويانوح وقادش وحاصور وجلعاد والجليل وكل أرض نفتالى وسباهم إلى أشور . وفتن هوشع بن أيلة على فقح بن رملة وضربه فقتله وملك عوضا عنه .. وصعد عليه شلمنأسر ملك أشور فصار له هوشع عبدا ودفع له جزية . ووجد ملك أشور فى هوشع خيانة . لأنه ارسل رسلا إلى سوا ملك مصر ولم يؤد جزية إلى ملك اشور حسب كل سنة فقبض عليه ملك أشور وأوثقه في السجن . وصعد ملك اشور على كل الأرض وصعد إل السامرة وحاصرها ثلاث سنين . فى السنة التاسعة لهوشع أخذ ملك أشور السامرة وسبى اسرائيل إلى أشور وأسكنهم فى حلح وخابور نهر جوزان وفى مدن مادى ــ الملوك الثانى ١٥ : ١٧ ــ ٣٠ ، ١٧ : ٣ ــ ٦ » .

* * *

لقد جاء الطوفان البشرى الذى اجتاح مملكة اسرائيل أيام سرجون الثانى ملك أشور الذى سبى كل شعبها إلى أشور حيث ذابوا فى شعوب الامبراطورية الأشورية ، وجلب شعوبا أخرى حلوا محل شعب مملكة اسرائيل المنقرضة . « أتى ملك أشور بقوم من بابل وكوث وعوا وحماة وسفروايم وأسكنهم فى مدن السامرة عوضا عن بنى اسرائيل فامتلكوا السامرة وسكنوا فى مدنها ــ الملوك الثانى ١٧ : ٢٤ » .

وهكذا كان عام ٧٢٢ ق . م . حاسما فى التاريخ الاسرائيلى ، إذ فيه انقطع

---

(١) تولى الملك على بابل تحت اسم : تغلث فلاسر .

خبر عشرة من أسباط اسرائيل ـــ أى نحو ٨٥٪ من الاسرائيليين الذين سكنوا أرض فلسطين فى ذلك الحين ـــ وتحولوا إلى ذكرى عابرة فى التاريخ .

* * *

● **تدمير مملكة يهوذا :**

حاول حزقيا ملك يهوذا التمرد على سنحاريب ملك أشور (٧٠٥ ـــ ٦٨١ ق .م .) وذلك بالتحالف مع أعداء الأشوريين ، ولكنه جلب الخراب على مملكته إذ اجتاحتها جيوش الأشوريين وحاصرت اورشليم ، حتى اضطر حزقيا إلى دفه فدية حرب من ذهب الهيكل وفضته :

« ملك حزقيا ملك يهوذا .. وعصى على ملك أشور ولم يتعبد له . وفى السنة الرابعة عشر للملك حزقيا صعد سنحاريب ملك أشور على جميع مدن يهوذا الحصينه وأرسل حزقيا ملك يهوذا إلى ملك أشور يقول : قد أخطأت . ارجع عنى ومهما جعلت علىّ حملته . فوضع ملك أشور على حزقيا .. ثلاث مئة وزنة من الفضة وثلاثين وزنة من الذهب . فدفع حزقيا جميع الفضة الموجودة في بيت الرب وفى خزائن بيت الملك . فى ذلك الزمان قشر حزقيا الذهب عن ابواب هيكل الرب والدعائم التى كان قد غشاها حزقيا ملك يهوذا ، ودفعه لملك أشور ـــ الملوك الثانى ١٨ : ١ ـــ ١٦ » .

* * *

ولقد كانت تجربة منسى بن حزقيا مع الأشوريين أقسى من تجربة أبيه ، فقد اقتادوه بالسلاسل إلى بابل : « لكن منسى أضل يهوذا وسكان أورشليم .. فجلب الرب عليهم رؤساء الجند الذين لملك أشور فأخذوا منسى بخزامة وقيدوه بسلاسل نحاس وذهبوا به إلى بابل ـــ اخبار الأيام الثانى ٣٣ : ٩ ـــ ١١ » .

* * *

وأخيرا تلقت مملكة يهوذا الضربات الثقيلة : ضربة من مصر أعجزتها أولا ،

ثم ضربة من العراق القديم قضت عليها نهائيا ، ووضعت بذلك خاتمة تعسة للملكة التى اشترك فى اقامتها شاول وداود وسليمان .

ففى عهد يوشيا ملك يهوذا « صعد فرعون نخو ملك مصر على ملك أشور إلى نهر الفرات فصعد الملك يوشيا للقائه ، فقتله فى مجدو حين رآه . واركبه عبيده ميتا من مجدو وجاءوا به إلى اورشليم فأخذ شعب الأرض يهوآحاز بن يوشيا ومسحوه وملكوه عوضا عن أبيه .. ملك ثلاثة أشهر فى أورشليم .. وأسره فرعون نخو فى ربلة فى أرض حماة لئلا يملك فى أورشليم . وغرم الأرض بمئة وزنة من الفضة ووزنة من الذهب . وملّك فرعون نخو الياقيم بن يوشيا عوضا عن يوشيا أبيه وغير اسمه إلى يهوياقيم ، وأخذ يهوآحاز وجاء إلى مصر فمات هناك . ودفع يهوياقيم الفضة والذهب لفرعون ــ الملوك الثانى ٢٣ : ٢٩ ــ ٣٥ » .

* * *

وفى عهد نبوخذ ناصر ملك بابل (٦٠٥ ــ ٥٦٢ ق . م .) خضعت له يهوذا ، وكان ملكها « يهوياقيم عبدا ثلاث سنين ثم عاد فتمرد عليه . فارسل الرب عليه غزاة الكلدانيين وغزاة الاراميين وغزاة بني عمون وارسلهم على يهوذا ليبيدها . » .

وقد حوصرت اورشليم ثم سقطت فى عام ٥٩٦ ق . م . وقد خلف يهوياكين اباه يهوياقيم لفترة حكم لم تدم سوى ثلاثة أشهر .

« فى ذلك الزمان صعد عبيد نبوخذ ناصر ملك بابل إلى أورشليم فدخلت المدينة تحت الحصار .. فخرج يهوياكين ملك يهوذا إلى ملك بابل هو وأمه وعبيده ورؤساؤه وخصيانه وأخذه ملك بابل فى السنة الثامنة من ملكه . وأخرج من هناك جميع خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك وكسر كل آنية الذهب التى عملها سليمان .. وسبى كل اورشليم وكل الرؤساء وجميع جبابرة البأس عشرة آلاف مسبى وجميع الصناع والأقيان . لم يبق أحد إلا مساكين شعب الأرض .. وملّك ملك بابل متنيا عمه عوضا عنه وغير اسمه إلى صدقيا ...

وفى السنة التاسعة لملكه .. جاء نبوخذ ناصر ملك بابل هو وكل جيشه على اورشليم ونزل عليها وبنى عليها ابراجا حولها . ودخلت المدينة تحت الحصار إلى السنة الحادية عشر للملك صدقيا . واشتد الجوع فى المدينة ولم يكن خبز لشعب الأرض . فثغرت المدينة وهرب جميع رجال القتل ليلا .. فتبعت جيوش الكلدانيين الملك فأدركوه فى برية أريحا وتفرقت جميع جيوشه عنه .

فأخذوا الملك واصعدوه إلى ملك بابل إلى ربلة وكلموه بالقضاء عليه . وقتلوا بنى صدقيا أمام عينيه وقلعوا عينى صدقيا وقيدوه بسلسلتين من نحاس وجاءوا به إلى بابل » .

* * *

كانت تلك هى المرحلة الأولى للسبى البابلى الذى اكتمل بعد ذلك حين جاء « رئيس الشرط عبد ملك بابل إلى اورشليم . واحرق بيت الرب وبيت الملك وكل بيوت اورشليم وكل بيوت العظماء احرقها بالنار . وجميع أسوار اورشليم مستديرا هدمها كل جيوش الكلدانيين الذين مع رئيس الشرط . وبقية الشعب الذين بقوا فى المدينة والهاربون الذين هربوا إلى ملك بابل وبقية الجمهور سباهم نبوزادان رئيس الشرط .. لكن رئيس الشرط ابقى من مساكين الأرض كرامين وفلاحين .. فسبى يهوذا من أرضه .

وأما الشعب الذي بقى في أرض يهوذا الذين ابقاهم نبوخذ ناصر ملك بابل فوكل عليهم جدليا بن أخيقام (وهو يهودى عميل لملك بابل كان يقول لمن بقى من شعبه) تعبدوا لملك بابل فيكون لكم خير . .

فقام جميع الشعب من الصغير إلى الكبير ورؤساء الجيوش **وجاءوا إلى مصر** لأنهم خافوا من الكلدانيين ــ الملوك الثانى : ٢٤ ، ٢٥ » .

* * *

وهكذا انقرضت مملكة يهوذا عام ٥٨٦ ق . م . وأخذ شعبها سبايا إلى أرض بابل . وقد فر من بقى منهم إلى مصر هربا من بطش الكلدانيين .

وقد استقبلتهم مصر — كعادتها مع كل اللاجئين إليها — بالترحاب ، وأنزلتهم فى تانيس ومنف واسوان . وكان النبي ارميا من بين المهاجرين إلى مصر . يقول الكاتب اليهودى هيوشونفيلد : « **من قديم الزمن ، كانت مصر هى الملجأ لليهود الهاربين من الاضطرابات السياسية فى فلسطين** . فاليها هرب الكثيرون من خراب أورشليم على يد البابليين فى القرن السادس قبل الميلاد ، وهو الحادث الذى تعرض له اليهود مرة ثانية عام ٧٠ م (عندما خربها الرومان على يد تيطس) . فنعلم من المؤرخ (اليهودى) يوسفيوس **أن اللاجئين اليهود تدفقوا على مصر مرة ثانية** ابان تلك الكارثة وبينهم نحو ٦٠٠ من الشيوخ (الغيورين) . ويمكننا القول بان عدداً من النذيرين وصلوا إلى الاسكندرية وأقاموا لهم طائفة هناك .[1] » .

* * *

(١) المرجع ١٨ : ص ٢٤٩ .

حـركـة عذرا للاصـــلاح الديـــني

يقول جيمس باركس : « فى عام ٥٤٨ ق . م . سمح كورش الفارسى قاهر بابل ، للشعوب التى سبيت فى الامبراطورية البابلية بالعودة إلى أوطانها .

ولقد كان الغرض الذى من أجله عاد يهود السبى من بابل دينيا صرفا . وفى عام ٥١٥ ق . م . جدد الهيكل واعيد افتتاحه . ولكن يبدوا أن الكهنة والشعب قد انغمسوا سريعا فى عاداتهم القديمة . حتى إذا كان القرن الخامس ق . م . عاد الرجلان (نحميا وعزرا) اللذان كان عملهما متميزا.. لقد كان نحميا موظفا فى البلاط الفارسى ، فجدد اسوار اروشليم ومبانيها . ثم تبعه عزرا الذى حمل معه مرسوما من ملك فارس يخوله سلطة دينية على الذين يعتنقون اليهودية فى ولاية يهوذا وما حولها . لقد كان لعزرا أهداف ثلاثة :

الأول : تجديد العهد بين الشعب والهه ، مثل العهد الذى تلقاه آباؤهم فى سيناء . ولذلك فقد أحضر معه نسخة مراجعه من التوراة ، قرئت فى مسامع الشعب ، وترجمت إلى الأرامية التى حلت محل العبريه بعد أن فقد اللسان العبرى بين الاسرائيليين .

الثانـى : تطهير الشعب من خطاياه التى كانت سببا فى عقابه وسبيه . وقد شمل ذلك ايضا تطهير الهيكل وطقوس العبادة مما علق بها . فقد ملأ سليمان

الهيكل بمزارات الوثنيين ارضاء لزوجاته . ولقد كانت اباحية تلك الزوجات الكافرات تعنى السماح بالدعارة بين كلا الجنسين ، وقتل الأطفال ، وممارسة كل طقوس الأخصاب التى تخصصت فيها الشعوب المجاورة .

الثالث : جعل الشعب يمارس عقيدته فى حياته اليومية .

لقد حول عزرا خبرات السبى فى بابل إلى ثورة دينية نشطة . ورغم أنه اهتم كثيرا بالهيكل والكهانة ، إلا أن شغله الشاغل كان حياة الشعب وتغليفها بالعقيدة الدينية . .

ومن المصادر اليهودية ، يمكن القول بأن قيادة الأمة قد آلت إلى طبقة من كبار الكهنة ، وهم جمع صغير من العائلات الثرية »[1] .

* * *

ووفقا لما جاء فى ملاحق **الترجمة الفرنسية المسكونية للكتاب** (المقدس) نجد أن تاريخ نشاط عزرا فى اورشليم وقراءة كتب الشريعة الخمسة فقط غير مؤكد فهو يتراوح ما بين عامى ٤٥٨ و ٣٩٨ ق . م . **كما شهدت الفترة ما بين عامى ٤٠٠ و ٣٥٠ ق . م . انجاز بعض الكتب منها : ملاخى وأيوب والمزامير ويونان وأخبار الأيام وعزرا ونحميا .**

* * *

« حتى إذا كان عام ٣٣٢ ق . م . مر الاسكندر الاكبر بولاية يهوذا فى طريقه إلى مصر . وكان مروره بداية عصر لها . فبعد موته عام ٣٢٣ ق . م . اقتسم قواده الامبراطورية ، وخضعت يهوذا للبطالسة الذين حكموا مصر . وقد استمرت تبعية يهوذا لحكام مصر نحو قرن . وفى هذه الأثناء غرقت الطبقة الثرية من اليهود

---

(١) المرجع ١٥ : ص ١٣ — ١٤ .

فيما يعرف بالهللينية ــ وهى الثقافة والحضارة ونظام الحياة الاغريقية ــ بينما بقى غالبية الشعب اليهودى مخلصين لعقيدتهم . وعند نهاية القرن الثالث ق . م . آدار حكام سوريا أعينهم نحو الجنوب ، وقام انتيوخس الكبير بهزيمة بطليموس الرابع فى معركتين ، عامى ٢٠٠ و ١٩٨ ق . م . لكن قوة روما منعته أن يجنى ثمار نصره كاملا ، واضطرته إلى دفع ضريبة كبيرة حتى يحتفظ بعرشه . فدفع الجزية بعد نهب ثروات المعابد والهياكل ومن بينها هيكل أورشليم .

ولقد رحب الحزب الهلليني من اليهود بذلك الأمر الذى أغضب عامة الشعب وجعله يثير الشغب والقلاقل لمدة نصف قرن ، حتى استقر انتيوخس ابيفانس (١٧٥ ــ ١٦٣ ق . م .) إلى قرار نهائى وهو أنه لكى يستتب السلام فلا بد من محو اليهودية كعقيدة ، وفرض الحياة الهللينية على كل الشعب .

ولقد بلغ الفساد بعائلات كبار الكهنة حدا كبيرا لدرجة أنهم اصبحوا على استعداد لقبول ذلك ، بل انهم شاركوا فى نهب عوائد الهيكل وثرواته[٢] » .

* * *

(٢) المرجع ١٥ : ص ١٧ ــ ١٨ .

ثورة المكابيين الدينية

يقول جيمس باركس : « رغم أن ضباط انتيوخس تمكنوا من تدنيس الهيكل بقرابين لحم الخنزير ، إلا أن كثيرا من عامة الشعب رفضوا ذلك وقبلوا حكم الاعدام . وعندما وصل الضباط إلى احدى المدن ليجبروا الشعب على تقديم الذبائح النجسة فإن الكاهن المحلى متاثياس قتل كلا من الموظف السورى واليهودى الذى كان يجهز القربان . وبصيحة حرب لجأ هو وأولاده الخمسة إلى التلال المجاورة ومعهم بعض الرجال والسلاح ، ثم رفعوا راية العصيان عام ١٦٧ ق . م. ضد مطالب حكام سوريا . وفى السنة التالية مات متاثياس وانتقلت القيادة إلى ابنه يهوذا الذى عرف باسم : المكابى ــ أى المطرقة ــ ومنه عرف الثائرون باسم المكابيين .

ولاشك أن أهمية هذه الحركة ترجع إلى كونها حركة شعبية قامت على معتقدات دينية ، أكثر من انها سمحت باستقلال يهوذا بعض الوقت .

إن أرض يهوذا من النوع الذى يمكن من شن حرب العصابات بنجاح ، ذلك أن وديانها العميقة وشعابها الضيقة وجوانبها الشرقية القاحلة من جبال وصحارى ، كل ذلك يمكن قوة صغيرة ثائرة من ايقاف وصد قوات أكبر منها فى العدد والعدة. ولهذا استطاع يهوذا المكابى هزيمة القوات السورية التى ارسلت ضده ، وحصل

على الحرية الدينية عام ١٦٢ ق . م . وعندئذ فكر فى الاستقلال السياسي ، إلا أنه لم يتخير الوقت المناسب . فقد كان حكام سوريا أقوياء ، بينما أصاب الضعف تنظيمه الداخلى بسبب انصراف الشعب عنه بعد أن حصل على الحرية الدينية وسئم الحرب . وفى احدى المعارك قتل يهوذا المكابى عام ١٦٠ ق . م . وتولى القيادة بعده أخوه يوناثان ، واستمرت حرب العصابات .

وفى عام ١٥٧ ق . م . ساد السلام ولكن تحت حماية السوريين الذين حصل يوناثان منهم على اعتباره ملكا صغيرا ضمن الممتلكات السورية .

والأهم من ذلك أن آخر رؤساء الكهنة من الهللينيين مات عام ١٥٤ ق . م . وعندئذ استطاع يوناثان أن يحصل من حكام سوريا لنفسه على لقب رئيس الكهنة عام ١٥٢ ق . م . رغم أنه لم يكن من البيوت التى اختصت بالكهانة .

وقد قتل يوناثان عام ١٤٣ ق . م . فى مؤامرة ، وخلفه أخ آخر هو سمعان الذى استطاع أن يجعل الكهانة وراثية فى بيته ، ولكنه قتل كذلك مع ولدين له وخلفه ابنه الثالث يوحنا هركانوس .

لقد كان هركانوس الأول (١٣٤ ـــ ١٠٤ ق . م .) قانعا بألقابه وهى عظيم الكهنة وزعيم الشعب . وفى عام ١٢٨ ق . م . تركه حكام سوريا يحقق طموحه باستخدام جيش من المرتزقة ، فاستولى على السامرة وضربها ، وهدم هيكلها المقام على جبل جرزيم ومد حدوده الجنوبية إلى ادوم واجبر شعبها على اعتناق اليهودية ، كما أجبر الذكور على الختان .

ولقد كان سلوكه مع الأدوميين بالاضافة إلى عوامل أخرى ، سببا فى الصراع الذى قام بينه وبين الفريسيين الذين سبق أن ساندوا المكابيين فى أول ثورتهم ، لكنهم ما لبثوا أن انصرفوا عنهم عندما تحولت غايات المكابيين من المجال الدينى إلى المجال السياسي . .

لقد جاء المكابيون إلى السلطة عندما ركبوا موجة الحماس الديني التى اجتاحت

الشعب . لكن هذا الحماس مالبث أن تضاءل بالتدريج حتى تحول إلى حقد وكراهية ، حين رأى الشعب أن المنصب المقدس لرئيس الكهنة أصبح يتولاه اشخاص غير جديرين به ، ولا يختلفون كثيرا عن افراد تلك الطبقة الهللينيه من اليهود الذين سبق أن ثار الشعب ضدهم أيام متاثياس »[1] .

* * *

اشتهرت السنوات التى تلت موت هركانوس الأول باضطرابات كثيرة واجهت الأسرة الحاكمة ، حيث كان الفريسيون يمثلون معارضة من الداخل بينما كان العرب الانباط يمثلون اعداء من الخارج ، وذلك بالإضافة إلى الصراع داخل الأسرة نفسها . فقد بدأ ارسطو بولس الثاني ــ حفيد هركانوس الأول ــ حربا ضد أخيه هركانوس الثانى الذى ذهب يطلب المعونة من انتيباس ابن حاكم ادوم ، وكان هذا الأخير رجلا ذا طموح وشخصية قوية « إن عهد الحسمونيين (اجداد المكابيين) قد انتهى فعلا . على الرغم من أن ارسطوبولوس قد سبب بعض الاضطرابات إلى أن مات مسموما عام ٤٩ ق . م .

وفعل ابنه انتيوخس مثله فأعدمه الرومان عام ٣٨ ق . م . بسبب تواطئه مع الفرس وقبوله منهم لقب ملك .

واخيرا ، فقد انتقل الحكم السياسي إلى عائلة انتيباس (الادومى) الذى عينه قيصر حاكما على اليهودية عام ٤٧ ق . م . وفى نفس الوقت عين ابنه هيرودس الكبير ــ حاكما على الجليل ثم أضيفت إليه السامرة فيما بعد . وكانت زوجة انتيباس أميرة من العرب الأنباط ، ولقد ورث عنها هيرودس كثيرا من الثراء وفى عام ٤٠ ق . م . تسلم هيرودس لقب الملك . ونظرا لأن نصفه أدومى ونصفه عربى ، فلم يتقبله الرعاية اليهود بارتياح رغم أنه أظهر عبقرية فى الحكم والادارة .

---

(١) المرجع ١٥ : ص ١٨ ــ ٢١ .

وقد أعاد هيرودس بناء الهيكل ببذخ ملحوظ . وبنى قيصرية التي جعلت قصرا للحاكم الروماني فيما بعد . كذلك فإنه أعاد بناء السامرة وسماها سبسطيا تكريما للامبراطور . وقد توفى عام ٤ ق . م . ومنحه التاريخ لقب : الكبير. ولقد صدق القصير على ما كان قد اقترحه هيرودس قبل وفاته من تولى أولاده من بعده . فعين أكبرهم ارخيلاوس حاكما على اليهودية ، وعين هيرودس أنتيباس حاكما على الجليل وبيريه ، وعين هيرودس فيليبس على أرض الأمم »[1] .

* * *

(١) المرجع ١٥ : ص ٢٢ ــ ٢٣ ، ٣٤ .

الشتات الطويل

خضعت فلسطين للرومان منذ أن استولى بومبى على أورشليم عام ٦٣ ق . م . « وقد انتقلت اليهودية والسامرة وأدوم إلى ايدى الحكام الرومان ، وكفت أورشليم عن أن تكون عاصمة للاقليم (فلسطين) الذى صار يحكم من قصر هيرودس فى قيصرية .

لقد تتابع الحكام الرومان على فلسطين وكان همهم استتباب الأمن والنظام الذى كان يتعرض للاضطراب . فقد احتقر الرومان اليهود لشكهم وحيرتهم ، ووجد اليهود أن الرومان يحقرون عقيدتهم باستمرار ، فبدأت حوادث الاثارة والشغب ومن بينها السطو على أحد صغار الموظفين بجوار احدى القرى ، فما كان من الرومان إلا أن عاقبوا القرية بأكملها . وفى أثناء ذلك مزق أحد الجنود صفحة من التوراة ، وعندئذا انقلب هذا الحادث إلى غضبة دينية .

لقد أرسلت روما الحكام الواحد تلو الآخر ، حتى كان جسيوس فلورس الذى أثارت قسوته وجشعه كل يهودى . ولم تكن استجابته ازاء ذلك إلا مزيدا من القسوة والعنف . وفى مدة حكمه السىء (٦٤ ــ ٦٦ م) ذهب بالشعب إلى نقطة اللاعودة ، فاستولى المتطرفون من اليهود على الهيكل ، واوقفوا الذبائح اليومية التى كانت تقدم باسم الامبراطور .

وعندما فشلت قوات الحاكم فى استعادة النظام ، فان مبعوث روما فى سوريا تحرك جنوبا بجيش قوامه ٣٠ ألف مقاتل . وبعد نجاح أولى فى الجليل ، بدأ الزحف جنوبا إلا أن الشتاء أتعبه فاضطر للانسحاب بعد أن هزم فى الوديان الضيقة بين اورشليم والسهل الساحلى .

وفى فبراير ٦٧ جاء إلى اليهودية جندي خبير فى شخص فسباشيان واستمر لمدة عام يبسط نفوذ روما على الاقليم . وكان على وشك الزحف على أورشليم فى صيف ٦٨ إلا أن انتحار الامبراطور نيرون شغله بأمور أخرى . فقد حاول أربعة من القواد تولى السلطة فى روما ، ولكن فى يونيه ٦٩ ظهر واضحا أن فسباشيان قد لقى القبول وصار هو الامبراطور . ولهذا ترك الحرب ضد اليهودية وعهد بذلك إلى ابنه تيطس . وفى ١٠ مايو سنة ٧٠ حوصرت اورشليم ووقف تيطس أمام حوائط الهيكل ووجه نداء إلى الثوار يدعوهم إلى الاستسلام ، ولكنهم رفضوا . ومع ذلك فقد حاول انقاذ الهيكل من التدمير إلا أن جهوده ذهبت سدى . وفى ٢٩ أغسطس تم تدميره بعد أن التهمته النيران .

ولقد بقيت بعض جيوب المقاومة بين الخرائب والاطلال حتى ٢٦ سبتمبر واخيرا استسلمت أورشليم كلها بعد حصار دام ١٣٩ يوما .

وفى ١٦ أبريل سنة ٧٣ قضى على آخر الثوار حين استسلمت آخر ثلاث قلاع كانت بأيديهم . وقد بيع آلاف اليهود عبيدا فى الامبراطورية الرومانية بينما هرب من استطاع منهم إلى أماكن متفرقة .

وقرب نهاية عهد الامبراطور تراجان (٩٨ ــ ١١٧ م) قام باحدى الغزوات فى اجزاء من الامبراطورية الفارسية . وعندما عبر الفرات ، فان يهود بابل وقد اثارهم رؤية جيوش الرومان ، فانهم ثاروا خلفه يريدون الانتقام لهدم الهيكل وخراب أورشليم ، كما دعوا طوائف أخرى غيرهم إلى الثورة ضد الرومان . ومضى وقت طويل قبل أن يعود الهدوء . ولما خلف هادريان (١١٧ ــ ١٣٨)

تراجان ، فإنه أثار اليهود فى انحاء الامبراطورية حين أقام معبدا رومانيا للاله جوبيتر على انقاض الهيكل وبدأت القلاقل من جديد .

وأخيرا اقتنع الامبراطور أن دين اليهودية هو عدوه الأخير ، وأن الأقلية اليهودية هى مصدر القلاقل والاضطراب . ولذلك قرر محو اليهودية كعقيدة ، وأبطل الختان وممارسة أى من الشعائر الدينية .

وكانت النتيجة الطبيعية هى زيادة القلاقل ، وقاد الربيون الثورة كخلفاء للفريسيين . وقد قيل أن شيخهم المعمر اكيبا الذى ناهز التسعين عاما فى ذلك الوقت كان المحرك الحقيقى لتلك الثورة التى تولى قيادتها العسكريه باركوشبا الذى دعى المسيح المنتظر . وازدادت ثورة الشعب إلا أن مقاومته كانت يائسة .

وكما حدث فى الماضى فإن طبيعة الاقليم ساعدت فى الفترة الأولى على تحقيق بعض الانتصارات المتوالية على القوات الرومانية ، إلا أن الثوار أجبروا فى النهاية على الحصار داخل قلعة بيثار فى جنوب اورشليم لمدة عامين .

وعند ما قضى عليهم نهائيا ، فإن كلمتى : اليهودية وأورشليم ، قد محيتا تماما من القاموس الرومانى ، واعيد تسمية الاقليم باسم : فلسطين ، واقيمت عاصمته ايليا كابيتالينا على انقاض أورشليم ، وحرم دخولها على اليهود »[1] .

* * *

(١) المرجع ١٥ : ص ٣٥ .

أما بعد ...

فهذه هي حقائق التاريخ الاسرائيلي بفلسطين ــ اعتمادا على الاسفار (المقدسة) ــ وتلك هي مراحله الرئيسية . لقد رأينا أن اقامة الاسرائيليين في فلسطين ــ مجرد اقامة وليست بناء دولة ــ قد ارتبطت منذ عهد موسى ويشوع ومن جاءوا بعدهما ، بحفظ عهود الله وشريعته . فهي اقامة مشروطة وليست منحة أبدية ولهذا كان ينزل بهم العقاب الالهي في صورة طرد من فلسطين وتذرية بين الأمم.ولقد راينا أن فكرة اقامة دولة للاسرائيليين في فلسطين كانت خطأ منذ يومها الأول . لأنها كانت تعني ــ كما قال لهم الرب ــ رفضا لحكم الله عن طريق انبيائه الذين جاءوا حفاظا على شريعة موسى ، واستبدال ذلك بحكم دنيوي كان وبالا عليهم عبر العصور . فلقد اصطبغت الدولة التي أقامها شاول وداود وسليمان في أغلب سنواتها بالدماء والكفر والوثنية واستمرت تتردى في تلك المستنقعات إلى أن قضى على المملكتين الصغيرتين ــ اسرائيل ويهوذا ــ وما كان من وراء ذلك من شتات طويل لحق بمن بقي من الاسرائيليين . وهو شتات كان في مجمله اضطهادات وقتل وتشريد .

إن شعبا هذا تاريخه ، ما كان له أن يسهم بشيء ذي قيمة في بناء الحضارة الانسانية ، وذلك بسبب ما يمثله الفكر الاسرائيلي من تعصب واستعلاء ، وبسبب

انغماس الاسرائيليين فى القتل واراقة الدماء : دماء أنفسهم ودماء انبيائهم ودماء جيرانهم .

لقد تكفل **جوستاف لوبون** برسم الصورة العامة للوجود الاسرائيلي بفلسطين ، وذلك فى الفصل الذى اختصهم به فى كتابه : **الحضارات الأولى** ، إذ قال : « لم يجاوز قدماء اليهود أطوار الحضارة السفلى التى لا تكاد تميز من طور الوحشية . وعندما خرج هؤلاء البدويون الذين لا أثر للثقافية فيهم من باديتهم ليستقروا بفلسطين ، وجدوا أنفسهم أمام أمم قوية متمدنه منذ زمن طويل ، فكان أمرهم كأمر جميع العروق الدنيا التى تكون فى أحوال مماثلة . فلم يقتبسوا من تلك الأمم العليا سوى أخس ما فى حضاراتها ، أى لم يقتبسوا غير عيوبها وعاداتها الضارية ودعارتها وخرافاتها . فقربوا لجميع آلهة آسية : قربوا لعشتروت ولبعل ولمولك من القرابين ما هو أكثر جدا مما قربوه لاله قبيلتهم .. وكانوا يعبدون عجولا معدنية ، وكانوا يضعون ابناءهم فى ذرعان محمرة من نار مولك ، وكان يحملون نساءهم على البغاء المقدس . واثبت اليهود عجزهم التام العجيب عن الاتيان بادنى تقدم فى الحضارة التى اقتبسوا أحط عناصرها . .

وكان اليهود أقل من أمة حتى زمن شاول ، كانوا أخلاطا من عصابات جامحة تقوم حياتها على الغزو والفتح وانتهاب القرى الصغيرة حيث تقضى عيشا رغيدا دفعة واحدة فى بضعة أيام ، فإذا مضت هذه الأيام القليلة عادت إلى حياة التيه والبؤس . .

ولانجد شعبا عطل من الذوق الفنى كما عطل اليهود . وانظر إلى هيكلهم المشهور (هيكل سليمان) الذى نشر حوله الكثير من الابحاث المملة تجده بناء أقيم على الطراز الأشورى المصرى من قبل بنائين من الأجانب كما تدل عليه التوراة . ولم تكن قصور ذلك الملك (سليمان) غير نسخ دنيئه من القصور المصرية أو الاشورية .

ولم يمارس العبريون من الفنون الجميلة سوى الموسيقى التي هى فن جميع الشعوب البدائية . وكانوا شديدى الحب لها فيمزجون بها ملاذهم وتمريناتهم العسكرية واعيادهم الدينية . .

وما كان ليكتب لهم فوز (فى الحرب) الا بضرب من الصولة المشابهة لغارة البدويين المعاصرين . واليهود إذ كانوا جبناء خوفا بطبيعتهم لم يبدوا مرهوبين إلا بما كان يحاول القاؤه زعماؤهم فيهم من حماسة مؤقته .

جاء فى سفر الملوك : « وجميع رجال اسرائيل لما رأوا الرجل (جليات الفلسطينى) هربوا منه وخافوا جدا »[1] .

ولما سار جدعون إلى المديانيين خاطب جنوده بقوله : « من كان خائفا ومرتعدا فليرجع وينصرف من جبل جلعاد . فرجع من الشعب اثنان وعشرون ألفا وبقى عشرة آلاف . » (قضاة ٧ : ٣) .

ويعرف جميع قراء التوراة وحشية اليهود التى لا أثر للرحمة فيها .

وما على القارىء ، ليقتنع بذلك ، إلا أن يتصفح نصوص سفر الملوك (صموئيل) التى تدلنا على أن داود كان يأمر بحرق جميع المغلوبين وسلخ جلودهم ونشرهم بالمناشير . وكان الذبح المنظم بالجملة يعقب كل فتح مهما قل . وكان الاهالى الاصليون يوقفون فيحكم عليهم بالقتل دفعة واحدة . .

وسفاح ذوى القربى : الزنا بالاخت والزنا بالأم ، واللواط (زنا الذكر بالذكر) والمساحقة (زنى الانثى بالانثى) ومواقعة البهائم ، من أكثر الآثام التى كانت شائعة بين ذلك الشعب . .

---

(١) المقصود ما جاء في سفر صموئيل الأول ١٧ : ٢٤ حسب ترجمة البروتستانت .

وإذا اريد وصف المجتمع اليهودى من ناحية النظم امكن تلخيصه فى كلمتين وهما : نظام رعائي من طبائع المدن الاسيوية الهرمة وذوقها وعيوبها وخرافاتها .
ويعرب حزقيال عن ذلك الرأى فى الإصحاح السادس عشر حين يذكر ظهور الشعب اليهودي واوائله الهزيلة وما عقب استقراره بفلسطين فيقول مخاطبا تلك الأمة العاقة قائلا :

« وفى جميع أرجاسك وفواحشك لم تذكرى أيام صباك .. واذ كنت لم تشبعى زنيت مع بنى اشور ولم تشبعى .. فلذلك اقضى عليك بما يقضى على الفاسقات وسافكات الدماء ، واجعلك قتيل حنق وغيرة »[٢] .

* * *

هذا ــ ولقد اقيمت مناظرة يوم ٣١ يناير ١٩٦١ بقاعة هيلل بمونتريال فى كندا بين المؤرخ البريطاني الشهير أرنولد توينبى وبين السفير الاسرائيلى فى كندا ياكوف هرتزوج . وكان موضوعها : العلاقات العربية الاسرائيلية وسياسة اسرائيل بالنسبة للاجئين الفلسطينيين.لقد ردد ذلك السفير الاسرائيلى نفس المزاعم التى يرددها الاسرائيليون صباح مساء عما يسمونه بالحقوق التاريخية فى فلسطين ، وكان آخرهم ترديدا لها هو اسحق شامير رئيس الوفد الاسرائيلى فى مؤتمر السلام فى مدريد يوم ٣١ اكتوبر ١٩٩١ الذي قال : « يجب أو يتعين على الواحد منا أن ينظر اليوم إلى السيادة اليهودية على أرض اسرائيل على خلفية تاريخية . .

وعلى مدى آلاف السنين عبرت صلواتنا وأدبنا عن الشوق العميق للعودة إلى بلادنا ، فأرض اسرائيل هى وطننا الحقيقي .. » .

لقد ردد السفير الاسرائيلى فى كندا نفس المزاعم فقال موجها حديثه للاستاذ توينبى : « ولكن يا سيدي الاستاذ لنعد إلى مسألة الارتباطات التاريخية التي كنت

---

(١) المرجع ١٠: ص ٢٠ ــ ٥٨ .

أشير إليها . لقد رددت الصحف قولك أن : **ليس لاسرائيل حق تاريخى** . فهل أورد بعض حقائق تتعلق بهذا الأمر .

أولا : أن الاقامة اليهودية فى أرض اسرائيل لم تنقطع طوال التاريخ بل كانت إقامة متصلة .

الأمر الثانى : أن العودة لاسرائيل أمر جوهرى فى عقيدتنا الدينية وفى صلواتنا واعيادنا وفى كل وجه من وجوه آمالنا القومية .. » .

أن هذين الزعمين يمكن ابطالهما بسهولة . فبالنسبة للاقامة فى أرض فلسطين نجد أن التاريخ فى صف العرب ، فهم السكان الأصليون منذ آلاف السنين ومن قبل أن يولد اسرائيل وبنيه ، وهم السكان الذين استمروا فيها آلاف السنين بعد مولد اسرائيل إلى اليوم . ولم يحدث لهم ما حدث للاسرائيليين من سبى وضياع بين الشعوب وتحريم اقامة فى فلسطين وفى عاصمتها القدس بالذات . وبالنسبة للزعم الثانى الخاص بربط فلسطين بالعقيدة الدينية اليهودية ، فهى مهوى لأفئدة العرب مسيحيين ومسلمين لما لها من روابط قوية بأحداث هامة فى تاريخ المسيحية والاسلام يدركها كل مسيحى وكل مسلم . وذلك بالاضافة إلى أن التعلق بأرض أو مدينة لارتباطات دينية لا يمكن قبوله ذريعة للهجرة أو الاقامة الدائمة . فكل المسلمين فى شتى انحاء العالم يتجهون فى صلواتهم — طبقا لعقيدتهم وبموجب النص القرآنى — شطر المسجد الحرام بمكة المكرمة ، فى المملكة العربية السعودية . لكن هذا التوجه والتعلق القلبى بالكعبة فى مكة أو الشوق المتأجج لزيارة النبى محمد — عليه الصلاة والسلام — فى المدينة ، لايعطى الحق للمسلم المصرى أو المغربي أن يتخذ من تلك الديار المقدسة وطنا ومحل اقامة دائمة . له الحق فقط فى الزيارة والاقامة المؤقتة أما ما فوق ذلك من تمحك بالأرض فهو أمر لا يقبله المسلمون أنفسهم لما يترتب عليه من فوضى واضطراب .

ولقد رد الاستاذ توينبى على السفير الاسرائيلى بقوله : « ولكن الآن ، ماذا عن المطلب اليهودى ؟ .

هناك شيء في القانون ، بل اعتقد فى كل أشكال القانون يقول بسقوط الحق نتيجة التقادم .

فإذا أخذنا مثلا عام ١٣٥ الميلادى باعتباره التاريخ الذى قام فيه الرومان بطرد الجانب الاكبر من سكان فلسطين اليهود ــ فإذا أخذنا هذا التاريخ وقلنا أن سقوط الحق لا ينطق حتى على هؤلاء الذين غادروا البلاد فى ذلك التاريخ ، ماذا يحدث بالنسبة لمدينة كمونتريال ؟ لقد كان هنود الألجونكوين يسكنونها منذ ثلاثمائة أو اربعمائة سنة على الاكثر، فهل يقال كذلك بضرورة عودة مونتريال اليهم ؟ وبعودة أنجلترا لأهل ويلز ؟ .

مستر هرتزوج : نعم .

بروفيسور توينبى : أحقا ؟! إذن فعليك أن ترحل خمسين مليونا من الانجليز (سكان انجلترا) وتجعل منهم لاجئين ! » وفى ختام المناظرة قال الاستاذ توينبى : « اعتقد أن هناك نقطتين فيما أدلى به السفير الآن . الأولى : عودة اللاجئين إلى ديارهم . والثانية : استخدام اللاجئين كسلاح سياسى . واعتقد أن هناك تناقضا فى الموقف الاسرائيلى .

فأنتم تطالبون بعودة اليهود إلى فلسطين رغم أنهم تركوها منذ عام ١٣٥ ميلادية ولم يكن فى فلسطين كتلة ملحوظة من السكان اليهود . وإن كنت أوافق السفير على أن قلة من اليهود عاشت بصورة مستمرة فى فلسطين ، وهى أقلية قليلة . ومنذ عام ٦٤ قبل الميلاد لم تقم دولة يهودية فى فلسطين . لقد ادعيتم الحق فى العودة ، لا كما نص عليه وعد بلفور فى صورة وطن قومى ، ولكن فى الصورة المتطرفة للدولة . ولكنكم تنكرون فى نفس الوقت على العرب الذين أرغموا على مغادرة فلسطين ، الجزء الاسرائيلى فى فلسطين ، عام ١٩٤٨ ، تنكرون عليهم ما يعتبر الحجة الاساسية التى يستند إليها الشعب اليهودى .

هذا موقف متناقض . عليكم أن تتأملوه ! »[1]

* * *

ويمكن أن نضيف إلى ما قاله الاستاذ توينبى عن تحويل سكان انجلترا إلى لاجئين إذا لم يراع المجتمع الدولى قاعدة : سقوط الحق بالتقادم ـــ فنقول : ان اهمال هذه القاعدة الجوهرية يعنى أن يتحول أهل الاندلس ـــ فى اسبانيا ـــ إلى لاجئين ، إذ يكون من حق العرب المسلمين أن يطالبوا بذلك الاقليم نظرا لانهم استوطنوه قرابة ثمانية قرون ، واقاموا به حضارة رائعة وجعلوه منارة للعلم والتقدم فى أوربا القرون الوسطى ، ويالها من قرون حالكة السواد ...

* * *

لا مفر ـــ اذن ـــ من أن يقفل الاسرائيليون ملف التاريخ الاسرائيلى بفلسطين ، ويكفوا عن ترديد هذه المزاعم البلهاء عن حقوق تاريخية فى فلسطين ، والتي يتحدثون عنها كذبا وزورا باسم : ارض اسرائيل !

---

(١) المرجع رقم ٩ .

اليهود تحت الحكم العربى الاسلامى

إن عنوان هذا المبحث وجزءاً كبيرا من مادته قد جاء من مرجع اسرائيلى حكومى هو : **أطلس اسرائيل الحديث** ، الذى وضعه **البرنامج الاسرائيلى للترجمات العلمية** ، وطبع بمطابع جامعات اسرائيل سنة ١٩٦٨ . وقد صدر فى ذكرى مرور عشرين عاما على إنشاء دولة اسرائيل . فهو بذلك مرجع فوق مستوى الشبهات بالنسبة للاسرائيليين ، وهو حجة عليهم يؤخذون بما جاء فيه .

* * *

- **الفتح العربي لفلسطين :**

« شملت موجة الفتح العربي فى القرن السابع فى الواقع منطقة شاسعة تمتد من بغداد شرقا إلى ساحل أفريقيا المطل على المحيط الاطلسى واسبانيا غربا . وتدخل فلسطين ضمن هذه المنطقة التى اكتسحها العرب ، وسيطر المسلمون سيطرة كاملة على فلسطين كلها ما بين سنة ٦٣٦ وسنة ٦٤٠ عندما كانت تحت الحكم البيزنطى . **ووجد المسلمون جماعات يهودية مبعثرة تعيش فى حالة فقر مدقع نتيجة للقيود والاضطهاد الذى مارسته الاجيال السابقة** . وكانوا يعملون بفلاحة الارض فى القرى ولم يكن لهم سوى نصيب قليل فى الادب والثقافة . .

وإذا ما قورن الفاتحون العرب فى فلسطين بغيرهم من الحكام الطغاة السابقين ، نجد أن العرب كانوا يعاملون الرعايا اليهود بقدر كبير من السماحة بل والعطف عليهم .

* * *

● مملكة الصليبيين (١٠٩٩ — ١٢٩١)

وفد حاملو الصليب من البلاد الأوربية المختلفة سالكين طريقهم إلى الشرق وتزداد حشودهم كلما ذهبوا . وبعد مسيرة طويلة عبر آسيا الصغرى وسوريا ولبنان ، هاجموا فلسطين من الشمال عند رأس الناقورة . وكانوا يعلنون بأن هدفهم وشعارهم هو : تحرير الأرض المقدسة والاماكن المسيحية الطاهرة من المسلمين الكفرة ! فتقدموا على طول السهل الساحلى ثم توجهوا رأسا إلى هدفهم المقدس وهو مدينة أورشليم . وبعد حرب ضارية وقتال مرير نجح الصليبيون فى تدمير حصون المدينة المنيعة ، ثم اخترقوا المدينة واستولوا عليها بعد اراقة كثير من الدماء . وذبح فى هذه المعركة السواد الأعظم من يهود أورشليم واتخذ الصليبيون المدينة المقدسة عاصمة لهم واطلقوا اسم أورشليم على دولتهم الجديدة تكريما لها .

وبعد ثمانين عاما تحدى صلاح الدين ، وهو عدو الصليبيين اللدود ، بعد أن وحد قواته وعمل على تقوية جيوشه ، تحدى استيلاء المسيحيين على البلاد . وفى معركة عنيفة عند حطين فى الجبل الأسفل ، قضى على الجيوش الصليبية وسحقها سحقا ، ثم استولى على أورشليم (بيت المقدس) . ونتيجة لانتصارات صلاح الدين ، انحصر حكم الصليبيين فى السهل الساحلى والجليل بوجه عام ، وصارت عكا عاصمة جديدة لهم . وفى سلسلة المعارك التى حدثت على مر السنين قام السلاطين المماليك بغزوات مستمرة على المناطق التى كانت تحت سيطرت الصليبيين ، حتى استولوا فى النهاية على مدينة عكا سنة ١٢٩١ وبذلك وضعوا نهاية للحكم المسيحى للأرض المقدسة ، بعد أن استمر مدة مائتى عام .

* * *

● **اليهود تحت حكم الصليبيين والمماليك**

١ ــ تحت حكم الصليبيين من سنة ١٠٩٩ إلى ١٢٩١ :

عندما جاء الصليبيون إلى فلسطين وجدوا هناك طوائف يهودية ترجع إلى عدة أجيال . وعندما أصبح للمسيحيين اليد العليا فى الموقف قاموا بمذابح لا رحمة فيها بين اليهود . وقد حضر إلى فلسطين العالم اليهودى والفيلسوف الكبير موسى ابن ميمون فى سنة ١١٦٥ ولكنه ذهب إلى مصر بسبب القلاقل التى كانت تعم البلاد فى تلك الأثناء . وفى مصر قضى أحسن سنى حياته الخلاقه .

٢ ــ تحت حكم المماليك من سنة ١٢٦٩ إلى سنة ١٥١٦ :

إن المماليك المسلمين الذين كانوا يتخذون من مصر المجاورة مركزا لهم ، هم الذين طردوا الصليبيين فى النهاية وحلوا محلهم فى السيطرة على فلسطين ، واستمروا كذلك لمدة ٢٥٦ سنة حتى حل محلهم الاتراك العثمانيون .

وكان المماليك يعطفون على اليهود ويحسنون معاملتهم . وساد الرخاء بين الطائفة اليهودية فى فلسطين أيام حكمهم . وفى ايام المماليك ساد السلام والهدوء ربوع البلاد ، وكان هناك سيل لا ينقطع من الحجاج المسيحيين واليهود .

* * *

● **يهود فلسطين تحت الحكم التركى العثمانى (١٥١٧ ــ ١٨٤٠) .**

استولى المسلمون الأتراك على البلاد من المسلمين المماليك فى سنة ١٥١٧ ، وفى عهدهم استمرت الطائفة اليهودية فى النمو والازدهار . وكان فى اورشليم (القدس) عدد كبير من السكان اليهود ، وفتح السلطان سليمان الكبير الذى اعاد بناء أسوار بيت المقدس ــ فتح ذلك السلطان ــ طبرية وقرى كثيرة أخرى بالقرب منها لاقامة اليهود واستقرارهم فيها . وقد

افتتح في صفد أول مطبعة عبرية فى سنة ١٥٧٨ وهى أول دار للطباعة فى قارة آسيا . وفى القرن السادس عشر بدأ يهود الاشكنازى يهاجرون من شرق أوربا إلى فلسطين . ومن أشهر الحكام الاتراك فى فلسطين هو أحمد باشا الجزار ، وكان وزير ماليته وكبير مستشاريه هو حاييم فارحى ، وكان ويهوديا من سوريا .

وفى سنة ١٨٣١ غزا البلاد الجيش المصرى بقيادة إبراهيم باشا ابن محمد على . وفى عهده ازدهرت المدن اليهودية فى فلسطين .

وبعد طرد إبراهيم باشا عادت فلسطين مرة ثانية تحت حكم الاتراك . وفى الأربعين سنة التالية لوحظ ازدياد عدد المهاجرين من أوربا لشرقية وفى أوائل القرن اسس يهود شمال أفريقيا جاليات فى يافا وحيفا حيث لم يكن هناك فى الواقع أية جالية يهودية .

* * *

● الحملة البريطانية (أكتوبر ١٩١٧ — سبتمبر ١٩١٨) .

أثناء الحرب العالمية الأولى كانت مصر وقنال السويس تحت سيطرة بريطانيا التى كانت تحتفظ بعدد كبير من الجنود هناك استعدادا لفتح فلسطين التى كانت فى ذلك الوقت فى ايدى الاتراك وحلفائهم الالمان .. وقد قاد الجنرال اللنبي جيوشه إلى الشرق واستوالى على بير سبع فى ٣١ أكتوبر سنة ١٩١٧ ثم عاد إلى غزة واستولى عليها ثم زحف إلى الرملة .. وتحركت القوة الرئيسية إلى القدس واستولت عليها فى ٩ ديسمبر .. واستولوا على دمشق فى ٣٠ سبتمبر سنة ١٩١٨ .. وفى اكتوبر سنة ١٩١٨ وصلوا إلى آسيا الصغرى فطلبت تركيا السلام وإنهاء الحرب ...

وباستيلاء بريطانيا على فلسطين من الاتراك فقد أمنت نفسها وزادت من سيطرتها على أراضى امبراطوريتها الشاسعة ، وبعد أن أخذت على عاتقها

تأسيس وطن قومي للشعب اليهودى فى فلسطين ، فقد اعطيت حق الانتداب على البلاد وحكمتها لمدة ثلاثين عاما إلى أن أنشئت دولة إسرائيل — ص ٩١ — ٩٩ » .

هذا ما اقتبسناه من أطلس اسرائيل الحديث ، والذى يبين بوضوح أن اليهود تمتعوا بالامن والازدهار فى ظل الحكم الاسلامى ، خلافا لما كان عليه الحال أيام الممالك الصليبية فى فلسطين ، إذ كان تعاملها مع اليهود بالقتل والتعذيب .

* * *

هل يسمع الاسرئيليون ؟!

● **سماحة العرب والمسلمين مع اليهود :**

إن سماحة العرب والمسلمين مع اليهود حقيقة تؤكدها الدراسات والابحاث مهما كانت هوية القائمين بها ، حتى وإن كانوا من اليهود الصهانية .

فلقد أفردت مجلة « **الأزمنة الحديثة** » الصادرة فى باريس فى منتصف عام ١٩٦٧ عددا خاصا عن « **النزاع العربى الاسرائيلى** » تضمن سلسلة من المقالات لعدد من الكتاب الصهاينة ، بينهم نسيم رجوان الذى تكلم فى موضوع « **التعايش العربى اليهودي** » فقال :

« إن الاتصالات بين العرب قبل نشوء الاسلام وبعده كانت فى الاجمال سعيدة ومفيدة ، واينما تقوم امبراطورية الهلال يبدأ وضع اليهود فى التحسن ، وكان ذلك بصورة خاصة وضع فلسطين ومصر ، حيث كان الأباطرة البيزنطيون قد تدخلوا ، ليس فى حياة اليهود الاجتماعية والاقتصادية فحسب ، بل ايضا فى حياتهم المعيشية والدينية ، وفى ادارة كنيستهم . فبابل كانت دائما مركز التشتت ، حيث يتمتع اليهود بوجود متميز ، وطدته الفتوحات الاسلامية وزادت من نفوذ اليهود وتحسين أوضاعهم .. .

وكانت القرون الوسطى أكثر الأزمنة أهمية وفائدة للقاء بين اليهود والعرب المسلمين .. ففى أسبانيا لاقى اليهود الذين كانوا قد أقاموا هناك منذ أجيال ، مصيرا بائسا ، حيث أظهر تجاههم بعض الملوك النصاري الكثير من القسوة والتعسف . وعندما وصل المسلمون إلى أسبانيا لم يكتفوا فقط بتحرير اليهود من ظالميهم بل شجعوا عندهم ـــ كما يقول الدكتور ايزدور ابزتاين ـــ ثقافة تعادل فى غناها وعمقها أكثر الثقافات رونقا فى أى بلد وفى أى عصر من العصور .

ففى ذلك العصر كان القسم الأكبر من اليهود يعيشون تحت السيطرة العربية .. وثمة اجماع على الاعتراف بأن هذا اللقاء ولد أكثر الفترات ازدهارا فى كل التاريخ اليهودي ، وان أثره على اليهودية والشعب اليهودي اليوم لا جدال فيه . ففى كتابه [اليهودية والاسلام] يؤكد الدكتور أروين روزنتال ـــ وهو مؤرخ ومستشرق فى كامبردج ـــ بأنه ما عدا الحقبة ليس من فترة كانت أكثر خلقا وايجابية فى تاريخنا المضطرب ، من العصور التى مد فيها الإسلام امبراطوريته من البحر المتوسط إلى المحيط الهندى .

فنشاطات الفاتحين العرب الثقافية والتجارية والفنية جعلت من أسبانيا أكثر بلدان أوربا تفتحا . وكتب التاريخ ، اليهودية منها وغير اليهودية ، تتكلم باحترام عن قرطبة عاصمة الخلفاء الأمويين الجدد ، التى أصبحت مركزا حضاريا بارزا .. وهذا الاشعاع لم يكن ماديا فقط . فالبلاط كان يستقطب الشعراء والفلاسفة ورجال الأدب والعلماء ويرعاهم بسخاء ، وقد لبى اليهود بحرارة هذه الدعوة ، وانصرفوا من تلقاء أنفسهم متحمسين للثقافة العامة ، التى وجدوا فيها ما كانوا بحاجة إليه من الهام ، ليعيدوا احياء ثقافتهم الخاصة ، فانتعشت أضواء ثقافة اليهود الشرقية فى الغرب . وعندما تفكك المركز البابلى أخيرا ، انتقلت الهيمنة للثقافة اليهودية إلى يهود اسبانيا ، حيث استمرت مدة خمسة اجيال .

وفى كتاب [التاريخ اليهودى : نظرة فى فلسفة التاريخ] وصف سيمون

دوبنوف هذه الحقبة من التاريخ اليهودى بأزهى الالوان . ففترة الأجيال الخمسة التى بدات مع ظهور الحضارة اليهودية فى اسبانيا ، وانتهت بنفى اليهود (٩٨٠ — ١٤٩٢ م) وضعت حدا ، كما يقول دوبنوف ، للركود والعزلة والحوائل التى طبعت فى الماضى حياة اليهود الوطنية وعلاقاتهم الخارجية ، فلأول مرة — كما يضيف دبنوف — استطاع قسم كبير من الشعب اليهودى أن يتمتع بامكان التفكير . وشهد القرنان الحادى عشر والثانى عشر قمة التطور الفكرى لليهودية المتوسطة . .

وفى ذلك العصر — كما يقول دوبنوف — تخلى الشعب اليهودى عن وحشته وميله إلى العزلة وأحاط اليهود بكل أنواع المهن . وإلى جانب رجال الدولة النافذين والمثقفين مثل هاسداى بن شبروت وصموئيل هاناجيد ، ظهر فى بلاط الخلفاء مجموعة من اللغويين اللامعين والشعراء والفلاسفة . .

وفى هذا المناخ المؤاتى الذى لم يسبق له مثيل فى التاريخ ، استطاع يهود أسبانيا العربية — على عكس من اليهود المقيمين وسط المسيحية — تحديد اليهودية وشرحها بوضوح وعمق لم يعرفها تاريخ شعبهم من قبل .....

وللمناسبة ، يبدو مفيدا ايضاح وضع اليهود الذين كانوا يقيمون فى الحقبة نفسها فى بلدان أوربا المسيحية .

فبينما كان اخوتهم فى أسبانيا يتمتعون كليا بالسلام والحرية ، كان هؤلاء اليهود يعيشون فوق بركان يهدد بازالتهم فى كل وقت ، وبسبب تعرضهم الدائم للاضطهاد وكانوا يعيشون معزولين تقريبا ، منصرفين من تلقاء أنفسهم إلى نشاط فكرى منغلق كبير ، ففى هذه الظروف ومع هذه الآفاق ، لم تصل أية نفحة من ذلك النضج الروحى الذى عرفه يهود اسبانيا — كيهود بابل من قبل — أن يدركوا ويحققوا المشاريع.فالحملات الصليبية التى بدأت عام ١٠٩٦ ، أظهرت بوضوح اية مشاعر يكنها جيرانهم ليهود فرنسا والمانيا . وكانت تلك أول ضريبة تدفعها المسيحية للشعب اليهودى لقاء تعليمه الدين فى القديم .

وفى شمالى فرنسا والمانيا انحطت دراسة التلمود إلى درجة الادعاءات الكلامية ، وتوصلت مجموعة من الشراح إلى جعل الكتب التلمودية أكثر تشويشا وأقل فهما ، وبالأخص فى الطرق الملتوية للعب بالألفاظ من غير كبير طائل .

فى هذا الجو القاتم والثقيل بدون هواء أو ضوء لا يمكن لأية فلسفة عقلانية ذات حس سليم أن تنشأ . فعوضا عن ابن عزرا أو ابن ميمون (اللذين اثمرا فى الجو العربى) . نجد يهودا هى هاسيد واليزردو ورمس ، وكتبهم فى التقوى الصوفية ، المليئة بالتعابير التقية عن العالم الآخر ، وحيث تظهر الأرض كأنها واد للدموع [1] » .

* * *

● حاييم وايزمان :

لقد تكلم حاييم وايزمان ــ القطب الصهيونى الكبير وأول رئيس لدولة اسرائيل ــ وحث فى مناسبات كثيرة على ضرورة مراعاة المصالح العربية فى فلسطين ، ان لم يكن بسبب ما قدمه العرب لليهود من مآثر فى الماضى ، فلا أقل من أن يكون ذلك لمصلحة الدولة الصهيونية التى كان يسعى مع غيره لانشائها . فقد جاء فى خطابه فى مؤتمر بلتيمور عام ١٩٢٣ ما يلى :

« مضت علينا سنوات طويلة ونحن نضع القرارات السياسسية التى تنص على أننا نرغب ــ نحن اليهود ــ فى أن نعيش فى سلام مع العرب ، وقد أصدرنا قرارات حملت الهدوء من جانبنا . ولكن عندما نشرع فى اتخاذ الخطوات الفعالة والحاسمة لتنفيذ هذه القرارات يتعرض الواحد منا للحملات من كل ناحية ، لأن فهم هذه المشكلات يعتبر قضية حياة أو موت لكل ما عملناه فى فلسطين .

ويجب أن يكون واضحا لجميع ساستنا الكبار أنه ليس من السهل علينا الخلاص من العرب بمجرد الانطلاق بأقوال سخيفة .

---

(١) المرجع رقم ٧ : ص ٣٨٨ ــ ٤٠٠ .

وقد مضت علينا سنوات ونحن نتخذ القرارات ، ولكن مهما حدث فى النهاية للوطن القومى اليهودى ، وحتى لو استوعب هذا الوطن ملايين اليهود ، واصبحت لنا ـــ كما آمل ـــ الأغلبية فى فلسطين ، **فيجب ألا ننسى هؤلاء الناس الذين يمتون الينا بصلة القربى ، والذين عشنا معهم طويلا ـــ فى الماضى ـــ فى وئام وسلام »** [٢] .

وبعد أن قامت دولة اسرائيل وصار وايزمان رئيسا لها فإنه قال عام ١٩٤٩ :

« أنا على يقين من أن العالم سيحكم على الدولة اليهودية بما ستفعله للعرب » [٣] .

لقد أصاب وايزمان بقولته هذه كبد الحقيقة حين وضع القاعدة التى تستطيع بها شعوب الأرض أن تتبين مقدار الظلم الهائل الذى وقع على الشعب الفلسطينى المنكوب منذ قامت دولة اسرائيل وبدأت توقع به صنوفا من الاضطهاد والمذابح الوحشية والقتل الجماعى وهدم البيوت والاعتداء على المقدسات وأماكن العبادة ، وممارسة كل صنوف الارهاب والتدمير لكى تعمل على اقناع الشعب الفلسطينى باستحالة حياته فوق الأرض التى خصه بها قرار التقسيم الصادر عن الامم المتحدة عام ١٩٤٧ ليقيم عليها دولته المستقلة ـــ دولة فلسطين العربية ـــ فيضطر هذا الشعب المكافح إلى تركها لاجئا فقد وطنه المغتصب لكى تبتلعه دولة اسرائيل .

حقا لقد عض الاسرائيليون اليد العربية التى قدمت لهم الكثير ، وكان من أهم ما قدمته لهم : الأمن والسلام والتكريم ، وكلها أشياء افتقدوها كثيرا ، وعانوا الحرمان منها على يد أغلب شعوب ارض .

* * *

---

(٢) المرجع ٦ : ص ٣٤٣ .

(٣) المرجع ٩ : ص ١٥ .

● ناحوم جولدمان :

دعا تيودور هرتزل إلى عقد المؤتمر الصهيوني العالمى فى بازل بسويسرا عام ١٨٩٧ . وكتب فى مذكراته يقول : « إذا أردت تلخيص نتائج المؤتمر فى كلمة احتفظ بها سرية غير قابلة للنشر ، فإنها تكون هكذا : فى بازل أسست الدولة اليهودية » . وكان لهرتزل قولة شهيرة رددها الصهاينة خلفه بلا وعى ، يزعم فيها : أن فلسطين أرض بلا شعب ، يجب دفع العمل الصهيوني من أجل تحويلها وطنا لشعب بلا أرض . وهو يقصد بذلك الشعب اليهودى .

ان كذب هذه المقولة لا يحتاج إلى كثير من الأدلة والبراهين . ويكفى أن نذكر هنا ما كتبه ناحوم جولومان الذى كان رئيسا للمنظمة الصهيونية العالمية طيلة عشرات من السنين ، وذلك فى مقال له فى صحيفة « الأوبزيرفر » اللندنية(٤) بتاريخ ١٢ أبريل ١٩٧٠ ، تحت عنوان : **طريق اسرائيل الوحيد للسلام** ، قال فيه : « عندما تأسس الوطن القومى اليهودى بفلسطين ، كان أكثر الأمور غفلة فى تاريخ الصهيونية هو اهمالها العلاقات مع العرب .

ويبدو لى أن مفكرى الحركة الصهيونية وساستها قد اكدوا دائما ، برغبة واخلاص ، على ضرورة تأسيس الوطن القومى اليهودى فى ظل السلام والوفاق مع العرب . بيد أنه لسوء الحظ ، ظلت هذه المعتقدات فى حيز الخيال . **حتى معادلة هرتزل الشهيرة لحل المسألة اليهودية ، والتى اعتبرها أساسا مسألة نقل : شعب بلا أرض إلى أرض بلا شعب ــ كانت هذه تمثل نظرة عمياء لحقوق العرب فى فلسطين وتثير الفزع والاضطراب .**

إن فلسطين لم تكن أرضاً بلا شعب حتى فى أيام هرتزل . فقد كان يسكنها مئات الألوف من العرب الذين كانوا ــ بمضى الزمن ــ ان آجلا أو عاجلا

---

(٤) THE OBSERVER: Israel's Only Way To Peace

سيحققون وجود دولة مستقلة ، إما بمفردها أو كوحدة سياسية داخل اطار أكبر يضم الدول العربية . » .

* * *

● **انتونى نتنج :**

ألقى الوزير البريطانى السابق انتونى نتنج محاضرة فى **المجلس اليهودي الامريكي بنيويورك** يوم ٢ نوفمبر ١٩٦٧ بمناسبة مرور خمسين عاما على صدور وعد بلفور ، وكان عنوانها : **مأساة فلسطين منذ وعد بلفور حتى اليوم** (نوفمبر ١٩١٧ ــ نوفمبر ١٩٦٧) ، وقد جاء فيها :

« إننا لا نستطيع أن ننسى ــ لأننا لو نسينا فإن العرب أنفسهم لن ينسوا ــ أنه فى عام ١٩١٥ وعدت بريطانيا العظمى الشيخ حسين شريف مكة ، أنه فى نظير مساعدة جيوشه العربية فى تجريد حملة ضد التحالف التركى الألمانى فى الحرب العالمية الأولى ، فإن كل فلسطين بالاضافة إلى العراق وسوريا وشرق الاردن وشبه الجزيرة العربية ــ كل هذه الاقاليم ستتحرر وتحصل على استقلالها بمجرد هزيمة حكامها الاتراك .

ولكن ما أن أعطى هذا التعهد وتحركت الجيوش العربية للثورة ضد الاتراك سارعت كل من بريطانيا العظمى وفرنسا إلى عمل الاتفاق السرى المعروف باسم اتفاقية سيكس ــ بيكو فى عام ١٩١٦ ، والذى بمقتضاه اقتسمت الدولتان فيما بينهما : سوريا والعراق وشرق الاردن كغنائم حرب .

ولزيادة المصيبة فقد تبع هذا فى ٢ نوفمبر ١٩١٧ ــ أى منذ خمسين عاما بالضبط مضت حتى اليوم ــ **فإن بريطانيا العظمى قررت أن تقيم فوق فلسطين قاعدة استراتيجية تستطيع منها أن تدافع عن قناة السويس تحت مظلة الصورة الإنسانية التى تبدو فى تصريح بلفور .**

وهنا شعر العرب بخديعتهم لنقض العهود بتلك الطريقة الساخرة ، رغم التوكيدات بالاستقلال التى اعطيت للشيخ حسين وللشعوب العربية .

ونظرا لأنه مازال هناك بعض الثقة فى حلفائهم السابقين ، فإن العرب قد سمحوا لأنفسهم بأن تهدأ ثائرتهم ، وخاصة بهد أن قدمت إليهم تعهدات وتأكيدات جديدة .

ومن هذه التأكيدات ان الوطن القومى لن يتحول إلى دولة قومية ، وان الحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية ــ التى لا يمكن وصفها بأقل من اعتبارها شؤما أحدق بالأكثرية العربية ــ سوف يحافظ عليها .

وبناء على ذلك ، وبالرغم مما حدث ، فقد شعر العرب بأن التنكر لعهود الاستقلال قد يكون شيئا مؤقتا .

وفى هذه الاثناء كان عرب فلسطين يشكلون ٩٢٪ من مجموع السكان ، بينما كانت نسبة اليهود ٨٪ فقط .. .

وما ان جاء مايو ١٩٤٨ وتخلت بريطانيا نهائيا عن مسئولياتها فى فلسطين ، حتى كان هناك أكثر من ٣٠٠ ألف لاجىء عربى طردوا من ديارهم ومزارعهم واصبحوا يمثلون الدفعة الأولى من تلك المجموعة من الناس سيىء الحظ ، فاقدى الأمل ، الذين ابتلوا فى انسانيتهم والذين نعرفهم اليوم باسم اللاجئين الفلسطينيين .

ان الدعاية الصهيونية تريدنا أن نعتقد بان اللاجئين الفلسطينيين جاءوا نتيجة للهجوم العربى على اسرائيل عام ١٩٤٨ ، وان قادتهم العرب أمروهم بالرحيل عن أراضيهم بعد أن وعدوهم باعادتهم إليها بعد تصفية دولة اسرائيل .

ان الحقيقة عكس ذلك تماما .

فلقد كان عدد اللاجئين الفلسطينيين ــ قبل هجوم العرب فى يوم ١٩٤٨ ــ يزيد على ٣٠٠ ألف لاجىء عربى ، وكان الصهاينة هم الذين أمروهم ــ كلا ــ بل أجبروهم على ترك الأراضى التى خصصت لانشاء دولة اسرائيل .

وهكذا نجد أن الصدق هو أن يقال : أن اللاجئين العرب كانوا السبب فى

الحرب الأولى التى شنها العرب ضد الاسرائيليين ، بدلا من اعتبارهم نتيجة لها .
وبالطبع عندما خسر العرب الحرب فى عام ١٩٤٩ وخسروا معها الجليل الأعلى وأغلب الأراضى التى خصصها لهم مشروع التقسيم ، فإن عدد اللاجئين ازداد كثيرا ، بل أنه فى الحقيقة قد تضاعف بخروج العرب من الأراضى التى احتلها الجيش الاسرائيلى .

وكما حدث تماما فى يونيو ١٩٦٧ ، فإن الامر لم يستلزم تحذيرا من قادتهم العرب ، أذ ان العرب كانوا قد رحلوا عن الضفة الغربية لنهر الأردن **ضد نصيحة قادتهم العرب الذين طلبوا إليهم البقاء فى أراضيهم ، وحذروهم مغبة الرحيل عنها** ، ومع ذلك خرج ١٧٥ ألف عربى من ديارهم وتحولوا إلى لاجئين.لقد خرج العرب من ديارهم لأنهم فزعوا — كما يفزع المواطنون المدنيون فى الحرب — بسبب احتلال الغزاة الاسرائيليين لبلادهم ، **وكما فزع من قبل الفرنسيون والبلجيك والهولنديون عام ١٩٤٠** . ويكفى القول بأنه ما ان انجلى غبار معركة يونيو ١٩٦٧ حتى كان العرب الفلسطينيون فى اسوأ حال ، ووجد حوالى ٧٠٠ ألف عربى أنفسهم وقد اصبحوا بلا مأوى ، يعيشون على احسانات الدول العربية والامم المتحدة ، **وقد انكر عليهم حق العودة إلى أراضيهم التى امتلكها أجدادهم وعاشوا فيها قرونا طويلة .**

إن اللاجئين الفلسطينيين دفعوا الثمن — ولايزالون يدفعونه — لما فعلته أوربا بالشعب اليهودى »[(١)] .

* * *

● **برتراند رسل :**

تلقى المؤتمر الدولى للبرلمانيين الذى عقد بالقاهرة فى الفترة ٢ — ٥ فبراير ١٩٧٠ رسالة كتبها الفيلسوف البريطانى الراحل برتراند رسل بتاريخ ٣١ يناير ١٩٧٠ ، وكانت تلك آخر رسالة كتبها فى حياته الطويلة ، وقال فيها :

---

(١) انظر الملحق رقم(٤) فى نهاية الكتاب وبه نص هذه المحاضرة الانجليزية .

« ان تطور مشكلة الشرق الاوسط لهو جد خطير ، فلأكثر من عشرين عاما نجد ان اسرائيل قد توسعت بقوة السلاح . وعقب كل مرحلة من هذا التوسع فإنها تقترح المفاوضات .

ان هذا فى الواقع هو الاسلوب التقليدى لقوى الاستعمار التى تريد تدعيم قبضتها على ما حصلت عليه بالقوة ، بأقل ما يمكن من المقاومة والصعاب . ذلك لأن كل غزو جديد يصبح هو الاساس الجديد للمفاوضات المقترحة التى تمارس من مركز القوة والتى تتجاهل عدم شرعية العداوان السابق .

ان العدوان الاسرائيلى يجب ادانته ، لا لأنه لا يحق لأية دولة أن تستولى على أراضى الغير ، ولكن لأن كل توسع هو فى الواقع تجربة جديدة تبين ما سيسمح به العالم مستقبلا من عدوان .

ان اللاجئين الذين يعيشون حول حدود فلسطين بأعدادهم التى تربو على بضع مآت الألوف ، قد وصفهم أخيرا أحد الصحفيين بأنهم يمثلون « حجر الرحى فى عنق اليهودية العالمية » ، وان كثيرا من اللاجئين قد دخلوا الآن العقد الثالث من السنين (سنة ١٩٧٠) ، وهم يعيشون حياة قلقة ولا يملكون سوى الاقامة المؤقتة .

ان مأساة الشعب الفلسطينى تمكن فى أن وطنه قد أعطى بواسطة قوة أجنبية لشعب آخر من أجل خلق دولة جديدة . والنتيجة هى أن مآت الألوف من الابرياء قد فقدوا المأوى بصفة دائمة علاوة على أن اعدادهم تزداد فى كل صراع جديد .

كم من الوقت اكثر من هذا يستطيع العالم تحمل رؤية هذه القسوة الطائشة ؟! من الواضح تماما ان للاجئين كل الحق فى وطنهم الذى طردوا منه ، وان انكار هذا الحق هو لب الصراع الدائر الآن .

اننا لا نجد شعبا فى العالم يقبل طرده من وطنه وبهذه الأعداد الكبيرة ، فكيف إذن يطلب أى شخص من الشعب الفلسطينى أن يقبل العقاب الذى لا يحتمله أى

شعب آخر ؟! إن عودة اللاجئين للاقامة الدائمة فى أراضيهم لهى الجوهر الأساسى لأية تسوية حقيقية فى الشرق الاوسط .

كثيرا ما يقال لنا أنه يجب التعاطف مع اسرائيل بسبب ما تعرض له يهود أوربا على يد النازى ، لكنى لا أرى فى هذا الاقتراح أى سبب معقول يسمح باستمرار المعاناة والآلام .

ان ما تفعله اسرائيل اليوم هو أمر لا يمكن الصفح عنه ، وان استلهام رعب الماضى لتبرير ما يحدث الآن لهو النفاق الكبير .

ان اسرائيل لم تحكم فقط على أعداد هائلة من اللاجئين بالتعاسة ، ولم تحكم فقط على الكثير من العرب فى الاراضى المحتلة بالعيش فى ظل حكم عسكرى ، **ولكن اسرائيل حكمت أيضا على الشعوب العربية التى خرجت من تحت وطأة الاستعمار ، بأن تبقى فى عوز وفقر مستمر** ، بسبب ما ينفق على المطالب العسكرية للقوات العربية والتى تنال السبق على مطالب التنمية الوطنية. **ان العدل يقضى بأن تكون الخطوة الأولى نحو أية تسوية هى انسحاب اسرائيل من جميع الأراضى التى احتلتها فى يونيو ١٩٦٧ .**

اننا نحتاج لحملة عالمية تساعد فى تحقيق العدل لشعوب الشرق الأوسط التى قاست الكثير من الآلام والمحن » .

* * *

لقد بدأنا عرض بعض الدراسات والآراء لقلة من الباحثين والسياسيين أغلبهم يهود صهاينة ، وبعضهم له دور مؤثر فى إقامة دولة اسرائيل ، ولقد اتفقت آراؤهم على أن ظلما وقع على الشعب العربى الفلسطينى بوجه خاص وعلى الشعوب العربية بوجه عام ، وسبب ذلك هو دولة اسرائيل التوسعية التى تريد ابتلاع الأرض المخصصة لدولة فلسطين العربية بموجب قرار التقسيم الصادر عن الامم المتحدة عام ١٩٤٧ . لا بل ان دولة اسرائيل قد خرجت عن حدود فلسطين واحتلت ــ

ولا تزال تحتل — أراضى دول عربية مجاورة طمعا فى توسع استعمارى تحت اسم دولة اسرائيل الكبرى ! وان الحل العادل يقضى بانسحاب اسرائيل من جميع الاراضى العربية المحتلة واقامة دولة فلسطين العربية وعودة اللاجئين إلى أراضيهم .

ولقد كان العنوان الفرعى الذى اخترناه لهذا العرض هو :

هل يسمع الاسرائيليون؟!

وإنى لأرجو مخلصا ، ويرجو معي ملايين من البشر على اختلاف اوطانهم واديانهم وثقافاتهم ، أن يستمع الاسرائيليون لصوت العقل والحق والشرعية ، وأن يعوا حركة التاريخ وما يستفاد منها من عبر وعظات ، فيريحون ويستريحون .. .

أما إذا اغمضوا عيونهم ، وجعلوا أصابعهم فى آذانهم واصروا واستكبروا استكبارا ، فقد وقعوا فى دائرة المحظور ، وعرضوا أنفسهم لصرخة نذير اطلقها النبي اشعيا قبل سبعة قرون من مولد المسيح الذى رددها ليهود عصره قائلا :

« قد تمت نبوءة أشعياء القائلة : **تسمعون سمعا ولا تفهمون . ومبصرين تبصرون ولا تنظرون . لأن قلب هذا الشعب قد غلظ** . وآذانهم قد ثقل سماعها . وغمضوا عيونهم لئلا يبصروا بعيونهم ويسمعوا بآذانهم ويفهموا بقلوبهم ويرجعوا فأشفيهم — متى ١٣ : ١٤ — ١٥ » .

* * *

ولم يبق إلا سؤال يوجه إلى حكماء العالم وقادته الذين يملكون قوة التأثير وتنفيذ قرارات الشرعية الدولية ، وهو :

من يستطيع أن ينقذ شعوب منطقة الشرق الأوسط ، عربا واسرائيليين ، من أخطار التوسع الاستعمارى الذى يحلم به قادة اسرائيل ؟ .. .

نحن نعلم يقينا « **أن الله على كل شىء قدير** » ...

وما كان الله ﴿ غافلا عما يعمل الظالمون *

إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار﴾ ...

* * *

اسرائيل والأمم المتحدة

● قرار التقسيم :

انتهت الحرب العالمية الثانية بانتصار بريطانيا والحلفاء على ألمانيا وايطاليا واليابان ، ولم تعد هناك حاجة لكسب ود العرب . فبعد أن كانت بريطانيا ــ الدولة المنتدبة على فلسطين ــ قد اعلنت فى عام ١٩٣٩ صرف النظر عن تقسيم فلسطين بين العرب واليهود واعتزامها تحمل مسؤلياتها فى حكم الاقليم لمدة عشر سنوات ، تقوم بعدها حكومة مركزية موحدة تدير شئون البلاد ، إذا بها تعلن فجأة عزمها عن التخلى عن الانتداب على فلسطيين ، وتقرر نقل القضية إلى الامم المتحدة فى ابريل ١٩٤٧ . « فقامت الجمعية العامة بعقد دورة خاصة بناء على طلب بريطانيا فى ٢٨ ابريل ١٩٤٧ ، ثم عقدت جلسات متتالية استمرت حتى ١٥ مايو ١٩٤٧ تقرر في نهايتها تأليف لجنة خاصة للتحقيق فى قضية فلسطين تضم ممثلى احد عشر دولة من الدول الاعضاء فى الامم المتحدة . وقامت هذه اللجنة برفع تقريرها إلى الجمعية العامة فى نوفمبر ١٩٤٧ وقد انقسم اعضاء هذه اللجنة إلى فريقين " قدم احدهما مشروعا يقضى بانشاء دولة اتحادية فلسطينية تشمل البلاد كلها ، بينما قدم الفريق الآخر مشروعا يقضى بتقسيم فلسطين إلى دولتين احدهما عربية والاخرى يهودية مع تدويل القدس وقد احالت الجمعية العامة كلا المشروعين إلى اللجنة السياسية الخاصه لمناقشتها والتصويت عليهما تمهيدا لعرضهما على الجمعية العامة .

لكن بريطانيا فاجأت اللجنة باعلان « مندوبها عن عزمها على الجلاء فورا عن فلسطين ، وعدم استعدادها للاشتراك فى تنفيذ أى حل لا يقبل به العرب واليهود معا . وكان التوقيت البريطانى لاعلان عزم بريطانيا عن الجلاء عن فلسطين مفاجأة مذهلة وغير متوقعة للاعضاء ، نظرا لأن جلاء القوات البريطانية سيوجد نزاعا فى البلاد التى تضم فريقين وصل العداء بينهما حدا طاغيا ، مالم تسارع الامم المتحدة إلى اتخاذ قرار عاجل وليس أمامها سوى الخيار بين المشروعين » .

وقد فشل المشروع الأول فى الحصول على الأغلبية اللازمة لاقراره . وعندئذ شرع رئيس اللجنة السياسية فى عرض المشروع الثانى الخاص بالتقسيم . وعندما تم الاقتراع عليه يوم ٢٥ نوفمبر ١٩٤٧ حصل على تأييد ٢٥ صوتا مقابل ١٣ معارضا وامتناع ١٧ دولة عن التصويت ، وتغيب دولتين . لكن هذه الاكثريه التي حصل عليها مشروع التقسيم فى اللجنة السياسية لم تكن لتضمن له النجاح فى الجمعية العامة إذ انه من المسائل الهامة التى تتطلب موافقة ثلثي الأعضاء .

« وفى يوم ٢٦ نوفمبر كانت المناقشات قد غطت جميع الجوانب المتصلة بمشروع التقسيم وكان من المنتظر ان يتم التصويت عليه فى هذا اليوم فى الجلسة المسائية فتبين للصهاينة ان المشروع سيفشل إذا ما تم الاقتراع عليه فى هذه الليلة .

وقد وافق اليوم التالى لهذا التأجيل عيد الشكر عند الامريكيين. وبالرغم من أنه ليس من الاعياد الرسمية التى تعطل فيها اعمال الامم المتحدة ، فإن رئيس الجمعية العامة ــ آنذاك وقد كان معروفا بميوله الصهيونية ــ قرر لأول مرة فى تاريخ الامم المتحدة ألا يعقد اجتماعا للجمعية العامة فى هذا اليوم ، وان يعقدها فى مساء اليوم الذى يليه . وهكذا توفر للصهاينة ومؤيديهم ثمان واربعون ساعة للمناورات والضغوط ومحاولات الاقناع والتأثير . .

وحينما استأنفت الجمعية العامة اجتماعها بعد ظهر يوم ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ تم

التصويت على مشروع القرار فحصل على ٣٣ صوتا مقابل ١٣ وامتناع ١٠ أصوات . وبذلك حصل على أغلبية الثلثين »[١] .

* * *

لقد استخدمت سياسة التهديد والوعيد جنبا إلى جنب مع سياسة الاغراء والوعود بالمعونات الاقتصادية ، فى سبيل تغيير مواقف الدول التى كانت تعارض التقسيم . فبالنسبة لحكومة ليبريا ذكر جيمس فورستال ــ وزير البحرية الامريكية السابق فى عهد ترومان ــ « ان شركة فايرستون للمطاط قامت بالابراق لشركتها فى ليبيريا للضغط على الحكومة الليبيرية للتصويت لصالح التقسيم »[٢] .

لقد تحولت ليبيريا من معارض للتقسيم إلى مؤيد له .

وحدث مثل ذلك لحكومة هايتى التى اضطر مندوبها ان يعلن والدموع فى عينية ، أنه تحول من معارض للتقسيم إلى مؤيد له ، بعد ان قام الوسطاء مثل « ادولف بيرلى الذى استغل وعد امريكا لهايتى بالمعونة الاقتصادية لهذا الغرض »[٣] .

كذلك كان الحال مع حكومة الفلبين ، فبعد أن هاجم مندوبها الجنرال كارلوس روميلو مشروع التقسيم وقال : « ان حل مشكلة تخلص اوربا من اليهود يجب الا يكون على حساب عرب فلسطين وفى اقامة دولة يهودية فى بلادهم » ، وأنه لذلك سيقترع ضد التقسيم ــ إذا بحكومة الفلبين تضطر إلى تغيير موقفها وتبرق إلى الجنرال رومليو بالعودة إلى بلاده وتحل محله السفير الفلبينى فى واشنطن « بعد أن تلقى رئيس جمهوريتها تهديدا من السفير الامريكى فى مانيلا بان الكونجرس

---

(١) المرجع ٨ : ص ٢٦٥ ــ ٢٧٢ .

(٢) The Forrestal Dairies, P. 346 .

(٣) Alfred Litienthal: WHAT PRICE ISRAEL?, P. 66 .

الامريكى لن يوافق على القوانين السبعة المعروضة عليه والمتعلقة بالفلبين ، إذا لم تبدل حكومة موقفها من قرار التقسيم[1] .

* * *

أخيرا ومهما يكن من شيء ... فلقد ولدت الامم المتحدة دولة اسرائيل ... فهى التى قررت اقامة دولة يهودية فى جزء من فلسطين ـــ جنبا إلى جنب مع اقامة دولة عربية فى الجزء الآخر منها .. وبناء على ذلك تحولت العصابات والحركات السرية وهى : الهاجاناه (الدفاع) ، وارجون زفاى ليومى (المنظمة العسكرية الوطنية) ، ولوحومى حيروت اسرائيل (المحاربون عن حرية اسرائيل) وغيرهم ، تحولت تلك العصابات إلى جيش الدفاع الاسرائيلى ، جيش الدولة التى اصبحت عضوا فى الامم المتحدة اعتبارا من ١٦ مايو ١٩٤٩ ومع ذلك تتنكر دولة اسرائيل دائما للامم المتحدة وقرارتها ، وتضرب بها عرض الحائط . بل ان اسرائيل تعتبر الامم المتحدة خصما لها بسبب ذلك القدر الهائل من القرارات والتوصيات التى اصدرتها هذه المنظمة الدولية ضدها ، فى محاولة منها للحفاظ على السلام العالمى ولتهذيب هذا الابن المتمرد دائما على أبيه : الامم المتحدة !

* * *

● **هل لهذا التمرد من نهاية ؟!**

الحق أن هذه خاصية من خواص الاسرائيليين على مر العصور . فهم متمردون على كل من صنع لهم احسانا ... لقد تمردوا على الله وانبيائه وعلى الناس أجمعين ، فهكذا تقول أسفارهم المقدسة .

ففى أيام موسى :

« قال الرب لموسى : رأيت هذا الشعب **وإذا هو شعب صلب الرقبة** . فالآن اتركنى ليحمى غضبى عليهم وأفنيهم ! خروج ٣٢ : ٩ » .

وفى آخر وحى نطق به موسى كان قوله فى بنى اسرائيل :

« جيل أعوج ملتو . ألرب تكافئون بهذا يا شعبا غبيا غير حكيم ؟! ..

(١) المرجع ٨ : ص ٢٩٠ .

انهم أمة عديمة الرأى ولا بصيرة فيهم .. لى النقمة والجزاء فى وقت تزل أقدامهم . أن يوم هلاكهم قريب ــ تثنية ٣٢ : ٥ ــ ٣٤ » .

* * *

وفى أيام اشعياء :

« الرب يتكلم : ربيت بنين ونشأتهم . أما هم فعصوا علىّ .

الثور يعرف قانيه ، والحمار معلف صاحبه . أما اسرائيل فلا يعرف . شعبى لا يفهم . ويل للأمة الخاطئة ، الشعب الثقيل الاثم ، نسل فاعلى الشر ، أولاد مفسدين ــ اشعياء ١ : ٢ ــ ٤ » .

ولعل هذه من أشد التشبيهات سخرية بالشعب الاسرائيلى ، إذ وصف بأنه أقل معرفة وفهما من الثور والحمار ! .

بل إنه شتمهم قائلا : « **تقدموا إلى هنا يابنى الساحرة ، نسل الفاسق والزانية** .. أنتم أولاد المعصية ، نسل الكذب ــ اشعياء ٥٧ : ٣ ــ ٤ » .

* * *

وفى ايام المسيح قال لهم :

" ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره ..

ايها الحيات أولاد الأفاعى : كيف تهربون من دينونة جهنم ــ متى ١٢ : ٤٣ ، ٢٣ : ٣٣ » .

* * *

ثم جاء بولس ووصفهم **بأنهم أعداء الانسانية** الذين حل عليهم غضب الله إلى نهاية الزمان : « هم غير مرضين لله ، **وأضداد لجميع الناس** . يمنعوننا عن أن نكلم الأمم لكى يخلصوا ، حتى يتمموا خطاياهم كل حين . **ولكن قد أدركهم الغضب إلى النهاية** ــ الرسالة الأولى إلى تسالونيكى ٢ : ١٥ ــ ١٦ » .

* * *

ان الشعب الاسرائيلى فى أشد الحاجة إلى من ينقذه من أحلام قادته التوسعية الاستعمارية فى عصر انحسر فيه الاستعمار أو كاد أن يتلاشى ، وأن ينبه الاسرائليين إلى

ضرورة قفل ملف المزاعم التاريخية والدينية بفلسطين بعد أن رأينا الحال من خلال نصوص أسفارهم المقدسة ، وأن ليس فيه ما يدعو إلى اجترار الماضي أو التغني بلياليه .... وان الشعب العربى فى أشد الحاجة إلى من يعينه فى مواجهة جنون العظمة الاسرائيلى ، واعادة حقوقه المسلوبة وحقن دمائه ، وتمكينه من العيش فى سلام .

ولا حل إلا باخضاع اسرائيل لقوارات الأمم المتحدة التى اقامت دولة اسرائيل واقامت معها فى نفس القرار ـــ قرار الجمعية العامة رقم ١٨١ سنة ١٩٤٧ ـــ دولة فلسطين العربية . إن العالم اليوم يقدر على ذلك .. .

تقدر عليه الولايات المتحدة الامريكية التى كانت جهودها ونفوذها وراء مشروع تقسيم فلسطين واقامة الدولة اليهودية فيما مضى ، والتى كانت جهودها ونفوذها وراء عقد مؤتمر السلام الآن .

تقدر عليه اوربا القوية الموحدة ولها تأثيرها المباشر وارتباطاتها المتنوعة بمنطقة الشرق الاوسط وبالصراع العربى الاسرائيلى ...

ويقدر عليه آخرون بمساهماتهم المختلفة ، والتي يمكن أن يدعم بعضها بعض، فتعطى قوة محصلة تستطيع التاثير .. .

ان نجاح مؤتمر السلام فى الشرق الاوسط يمكن ان يكون قريب المنال إذا ارتضت اسرائيل الشرعية الدولية حكما ـــ ويجب ان ترتضيها ـــ وإذا خلصت نوايا الآخرين .

فالسلام وسيلة وغاية للنهوض بالبشرية والتخفيف من آلامها .

« ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين » .

* * *

قائمة المراجع الرئيسية

١ ـــ الكتاب المقدس
٢ ـــ كتب الشريعة الخمسة : دار المشرق . بيروت
٣ ـــ تاريخ العرب : تأليف الدكتور فيليب حتى وآخرين . دار الكشاف . بيروت ـــ ١٩٤٩
٤ ـــ تاريخ العرب العام : تأليف المستشرق الفرنسى ل . سيديو . دار احياء الكتب العربية ـــ القاهرة
٥ ـــ أطلس اسرائيل الحديث : طبع بمطابع جامعات اسرائيل بالقدس ـــ ١٩٦٨
٦ ـــ ملف وثائق وأوراق القضية الفلسطينية : مركز دراسات الشرق الاوسط . القاهرة
٧ ـــ من الفكر الصهيونى المعاصر : مركز الابحاث بمنظمة التحرير الفلسطينية
٨ ـــ التصويت والقوى السياسية فى الجمعية العامة للأمم المتحدة : تأليف مصطفى عبد العزيز ـــ مركز الابحاث بمنظمة التحرير الفلسطينية ـــ بيروت ـــ ١٩٦٨
٩ ـــ المناظرة بين سفير اسرائيل فى كندا والمؤرخ البريطانى ارنولد توينبى فى مونتريال بكندا
١٠ ـــ اليهود فى تاريخ الحضارات الأولى : جوستاف لوبون ـــ الناشر عيسى البابى الحلبى . القاهرة

١١ — - La Traductian Oecuménique de la Bible (T.O.B.)

١٢ ـ - La Bible de Jérusalem

١٣ — - ENCYCLOPAEDIA BRITANNICA, Vol. 3, 1960

١٤ — - Sabatino Moscati: The Semites in Ancient History, Cardif University of Wales Press, 1959

١٥ — - James Parkes: A History of The Jewish People, Penguin Books, 1964

١٦ — - W. Albright: From The Stone Age to Christianity, Anchor Books, New York, 1957

١٧ — - H. Polano: The Talmud, Frederic Warn, London

١٨ — - H. Schonfied: The Passover Plot, Hutchinson of London, 1966

* * *

كتب للمؤلف

- المسيح فى مصادر العقائد المسيحية
- وقد صدرت ترجمته الإنجليزية تحت عنوان :

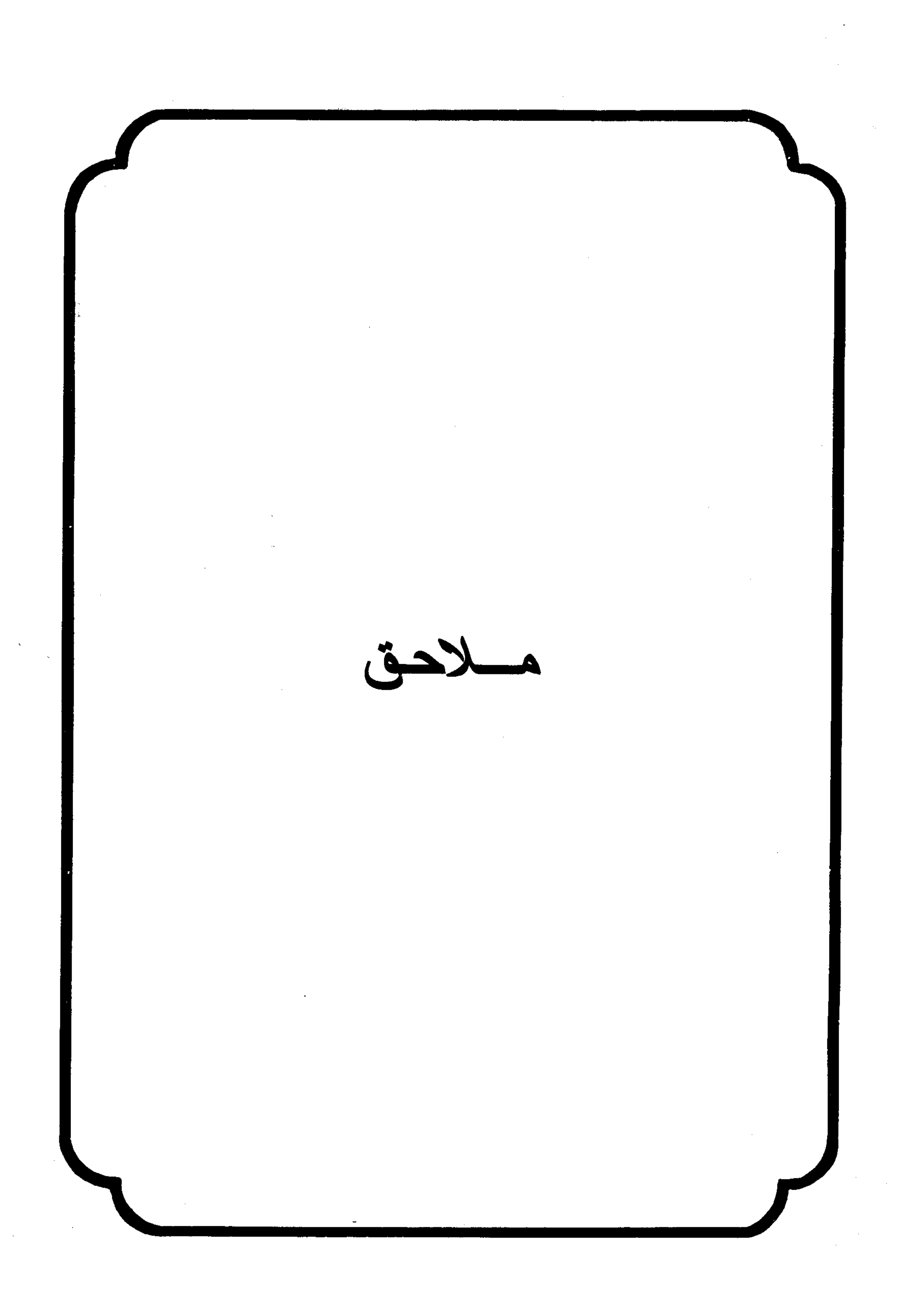
THE CHRIST as seen in the Sources of the Christian Beliefs

- العلوم الذرية فى التراث الاسلامى
- الوحى والملائكة
  فى اليهودية والمسيحية والإسلام
- النبوة والأنبياء
  فى اليهودية والمسيحية والإسلام
- طائفة الموحدين من المسيحين عبر القرون
- حقيقة التبشير بين الماضى والحاضر
- اختلافات فى تراجم الكتاب المقدس
- تعدد نساء الأنبياء ومكانة المرأة
  فى اليهودية والمسيحية والإسلام
- حوار عبر النصوص بين المسيحية والإسلام (بالفرنسية)

DIALOGUE THANSTEXTUELLE entre le Chistianisme et L,Islam, Centre Abad,6 rue BAUDIN, 93400 Saint Ouen, PARIS

- التغريب : طوفان من الغرب

* * *



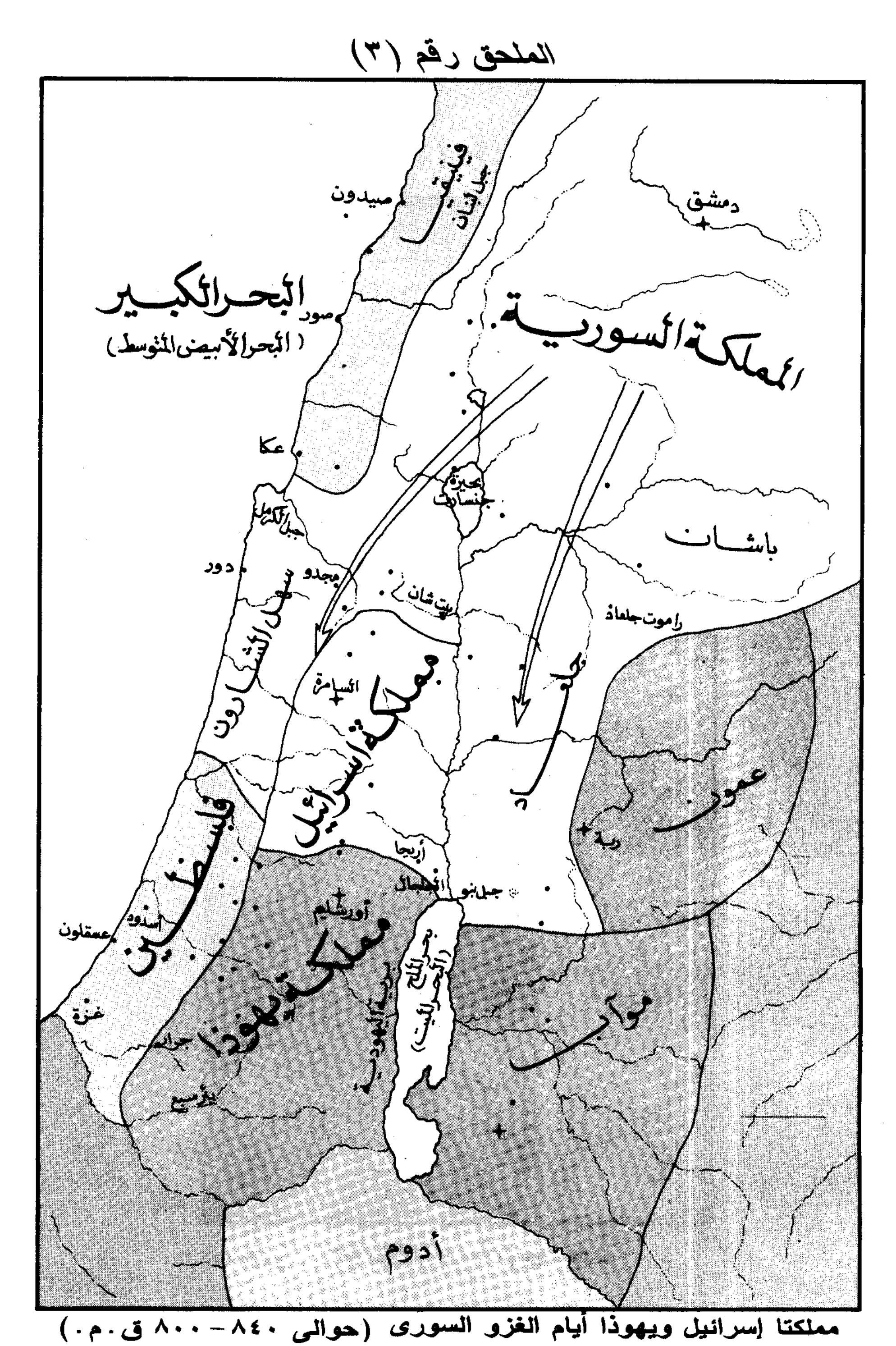
مـــلاحـق

الملحق رقم (١)



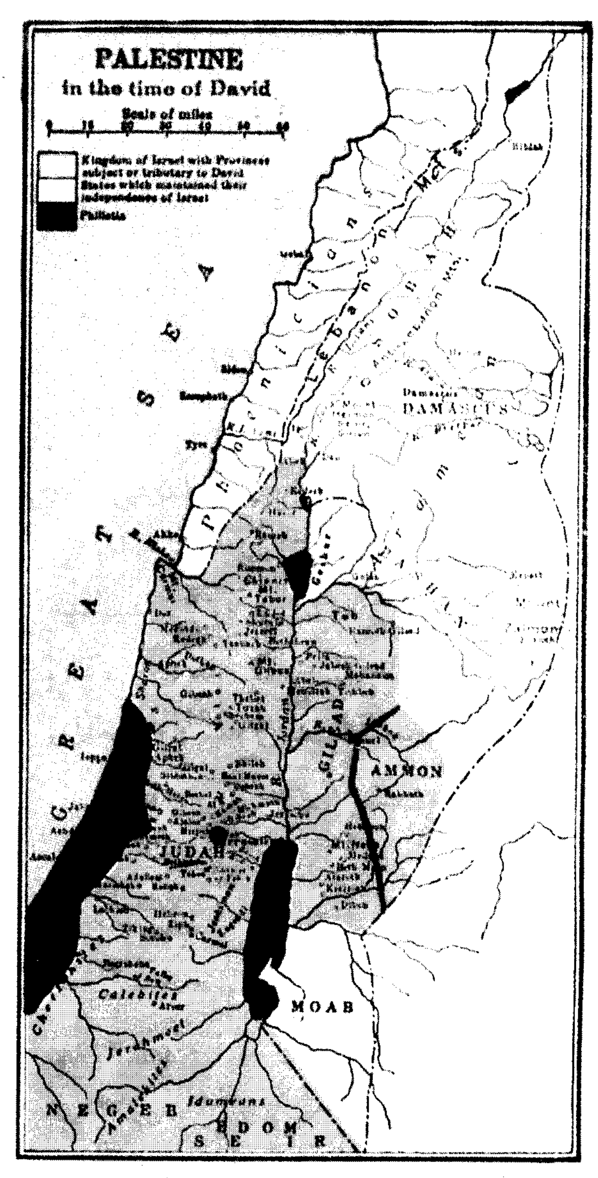
شعوب أرض كنعان وما جاورها قبل غزو الإسرائيليين بقيادة يشوع

الملحق رقم (٣)



مملكتا إسرائيل ويهوذا أيام الغزو السورى (حوالى ٨٤٠ – ٨٠٠ ق.م.)

الملحق رقم (٢)



مملكة داود (١٠٠٠ - ٩٦٠ ق.م.)

الملحق رقم (٤)

محاضرة ’’ الرايت اونرابل ‘‘ انتوني نتنج وزير الدولة البريطاني السابق التي ألقاها في نيويورك يوم ٢ نوفمبر ١٩٦٧ بمناسبة مرور ٥٠ عاماً على وعد بلفور . وكان عنوانها ’ **مأساة فلسطين منذ وعد بلفور حتى اليوم** ‘

Arabs of Palestine requires the reunification of Palestine and the opportunity to recreate a politically unified Palestine could be seized from the existing situation where Palestine has already been reunified, if only as a geographical entity. Likewise, in the creation of a bi-national state in Palestine lies the best hope of eradicating the suspicion of the Arabs that the sole aim of the West is to create a Western beachhead in the Middle East. The benefits which could flow from this are almost unbelievable and certainly infinite in number.

Yet no one could deny that such a bold step as the offer to recreate a bi-national state in Palestine would require a great act of faith on the part of all concerned. For the Jews to admit so large an Arab minority would require as much courage as for the Arabs to accept to live in a state with so great a Jewish majority. Clearly too, other problems such as the loss of the West Bank to the state of Jordan would also have to be resolved by some economic arrangement with the reconstituted state of Palestine. And there would probably have to be a cooling-off period to allow for tempers to subside, where perhaps the United Nations could help by taking the West Bank under some form of trusteeship until the final arrangements could be worked out to knit together the two parts of Palestine, Jewish and Arab. But if the Jewish people are to find any security in the Middle East then they must live with the Arabs and let the Arabs live with them. *Apartheid,* whether it is practised in South Africa against the Bantu or in Israel against the Arabs is both as repugnant as it is ultimately impractical.

And however long it takes, and however much it costs, in human effort and financial outlay, it is imperative that a start should be made now along this road and that means the earliest possible initiative by the United States of America with the government of Israel. Mr. President, the alternatives in human suffering and material destruction which a failure to act now could visit upon Jews and Arabs alike are too hideous to contemplate. Today on the fiftieth anniversary of the Balfour Declaration, the Middle East is poised as never before upon the edge of the most awesome precipice. Yet today the Arab world is ready as never before to play its part in settling with Israel on the basis of a just and honourable peace. This, therefore, is probably the best chance that has ever been offered to the peacemakers to end this tragic conflict. But let us be under no illusions: it may well be the last!

politically as a bi-national, multi-racial state? Is it too much to ask that Israel should say openly, and mean it, that a Palestinian Arab has the same rights to live and work in Palestine as a Palestinian Jew, and to share on equal terms with his Jewish cousins in the running of his country, insuring that the essential interests of each community are safeguarded and preserved?

Now, ladies and gentlemen, before any of you dismiss this idea as the ravings of a lunatic internationalist, which perhaps I may be, let me ask you what you would have thought in World War II if I had come to you and said that the answer to the problem of Europe was for France and Germany together to create a European community in which they would pool their economic resources and work towards the creation of a European political federation. You would have said, "He is a raving lunatic internationalist". And yet, ladies and gentlemen, twelve years after the war ended this is precisely what France and Germany did, and are doing today. Twelve years after the end of World War II! And France and Germany, after all, had a tradition of mutual enmity, jealousy and hatred which has never existed, could not exist, between Arab and Jew. Is it so impossible to create a bi-national state out of what are after all two segments of the same race?

Now it may be argued that this would fly in the face of all that Zionism stands for. But even before June fifth the Zionist dream of the state "as Jewish as Britain was British" had not been fulfilled. Even before June fifth Israel had an Arab residue of 300,000, the ones they couldn't evict, the ones who stuck it out, and stayed behind, which was about 15 per cent of the total population. And today Israel occupies an area with nearly a million-and-a-half Arab inhabitants in it; that is almost 40 per cent of the combined population, which scarcely accords with the old Zionist concept of a racially pure Jewish state in the Middle East. 40 per cent Arab! What would the old Zionists say? Thus, whatever final frontiers Israel might, in her present mood of intransigent euphoria be ready to settle for, there will always be, as be there must, a sizeable Arab complement in that area.

But the smaller the area, the less physically able the Israelis will be to resettle Palestine refugees, and Palestine refugee resettlement lies at the heart of any peace settlement with the Arabs. Only the whole of Palestine offers enough scope, given the rate of Jewish settlement both before and after the creation of Israel, and given the natural increase in the numbers of the Palestine refugees. Only the whole of Palestine offers enough scope for a solution of the Palestine refugee problem.

THEREFORE, I put it to you, if sufficient sanity could be brought to bear upon these issues, it seems that here we have a marriage of necessity and opportunity. The need to solve the problems of the

they had gone into the thing with Israel. They said "These people are misunderstood, they've suffered a terrible injustice, they should not be asked to withdraw unconditionally". But the United States said, "Withdraw"! and so the Israelis withdrew. Today no such American pressures seem to be available and Israel is able, indeed encouraged, by this totally negative attitude in Washington to stand pat upon her conquests. And once again to the Arabs the Western world seems to be encouraging Israel to expand at the expense of the Arabs. Once again the suspicions of the Arabs are confirmed that Israel was created and is still being used as a Western outpost to dominate an Eastern race.

THROUGH you therefore, ladies and gentlemen, tonight I would issue this appeal on this historic occasion, the fiftieth anniversary of the Balfour Declaration. I would issue this appeal through you to the government of the United States. In the name of everything that you want to see created in the Middle East, stability, security and peace for all nations in the area, and in the interests of America's best relations with the Arab and the Moslem world, use your influence on Israel to accept an honourable and just peace such as is now within her grasp, such as the Arabs have now offered, and to work out through the United Nations the means by which such terms can be translated into effect.

Perhaps I might be permitted to add this further thought as to what sort of settlement might emerge for the future and I hope I shall not be thought too starry-eyed an idealist in what I have to propose. I think I've said enough of the dangers and the disasters that are implicit in the present stalemate. There is, however, one aspect of the situation, of this highly explosive and dangerous situation in the Middle East today, which might be turned to the account of a truly imaginative solution.

I have always felt, and many people who knew Palestine in the old days agree with me on this that, quite apart from the human problems that are involved, the human suffering of the people of Palestine, one of the worst results of creating a Western Zionist state in the Middle East was that, in doing so, we destroyed the state of Palestine by carving it into two or rather into six different parts. For the state of Palestine, notwithstanding all that happened in the 1920's and the 1930's, was by far the most cultured and educated state in the Arab world and had been so ever since the days of the Ottoman Empire. Now, it just so happens that geographically Palestine has been reunited—by conquest and occupation, yes—but reunited, nonetheless. Is it too much to hope that such counsels of wisdom and imagination might prevail even at this late hour amongst Israel's leaders as would enable the state of Palestine to be recreated not just geographically but

no babies were butchered. And yet, ladies and gentlemen, not many months afterwards, somebody lost his head and somebody else lost his temper and somebody started shooting and the Germans shot back. And by 1944, innocent men and women were being taken out and shot as hostages because somebody had blown a bridge five miles away.

I don't care who the occupying power is. These are the sort of bestialities to which occupation gets driven by national resistance movements such as will come on the West Bank of the Jordan, and in the Gaza Strip, so long as Israel struts and strides in those areas, insisting upon conqueror's terms. And it is surely inconceivable that sane men in Israel or anywhere else, however callous they may be to the sufferings of humanity, it is surely inconceivable that sane men could invite such a prospect upon themselves. It is surely inconceivable that the United Nations could permit such a disaster to be perpetrated. Yet if nothing is done, and if nothing is done now; if the United Nations fails to endorse the terms and the concessions offered by the Arab states for a settlement: recognition, termination of the state of belligerency and freedom of passage for Israeli shipping through Suez and Aqaba; and if Israel cannot be induced to accept and to honour these terms and to do, for her part, what is necessary to bring about a settlement—then, ladies and gentlemen, these disasters will happen as surely as we are sitting in this hall tonight, however much it may cost the Arab world.

There is an old Arab couplet by an unknown poet which demonstrates my argument far more eloquently than I could.

> Let none be with us proud or overbearing,
> For we can be more foolish and more daring.

And however foolish or foolhardy it may seem to some people, the Arabs will never abandon the cause of their dispossessed brothers of Palestine and will never accept that the land of Palestine shall remain as it is today under the occupation of an alien western state. Everything else, everything else—Aqaba, Suez, frontiers, Syrian Heights, Gaza Strip, even the city of Jerusalem—everything else is comparatively a side issue relative to this basic human issue of the people of Palestine. This is what this conflict is all about and this is the issue that has to be settled.

You and I know, ladies and gentlemen, that there is only one nation in the world today which can induce the Israelis to settle it, to accept the terms now offered by the Arabs, and to redress the wrongs done to the people of Palestine. There is only one nation that can do this and that is the United States of America. In 1956, when Israel had conquered far less territory than today, after the Suez episode, the United States told her to withdraw. Britain and France objected; they had to:

Arabs which could give Israel all the security and peace that she seeks, Israel is not prepared to withdraw, still less to settle Palestine refugees in their own homeland, and now demands individual negotiations with each individual, separate Arab state, and negotiations under the duress of Israeli occupation of that state's territory. Ladies and gentlemen, this is the doctrine of "divide and conquer" and these are conquerors' terms. If Israel persists in these terms, there will be no peace in the Middle East. Counsels of moderation such as Abdel Nasser was able to impose upon his colleagues in the recent Khartoum summit conference of Arab states will be rejected. The doves will have lost out and the hawks will say "we told you so". And I don't have to tell you who the Arab hawks will be. And the conflict will continue between the Arab states and Israel until a fourth or a fifth or a sixth round finally plunges the whole Middle East into a holocaust, when one or possibly both sides dispose of the nuclear weapon.

There is a dangerous tendency among many Arabs to equate the present situation with that of the Crusades. "It took us", I've heard this often said by Arabs, "It took us 200 years to get rid of the Crusaders. All right! If Israel will make no terms, if Israel will make no amends to the Palestine people, we will wait 200 years and we will get rid of them in the end as we got rid of the Crusaders, another alien state, another European incursion, another western beachhead upon our shores. We will get rid of it".

Ladies and gentlemen, this is dangerous talk because Saladin, who finally destroyed the Crusader state, fought Richard Coeur-de-Lion with swords and lances and not with atomic bombs, and yet this is the prospect for the Middle East in the fourth or the fifth or the sixth or some round, if nothing is done to bring a just and honourable settlement today.

MEANWHILE the relative calm on the West Bank of today which we hear about from the Zionists—how happy the Arabs are to be selling postcards to all those nice tourists from Israel—this relative calm, ladies and gentlemen, is largely due to the state of shock of the inhabitants. And it will give way, all too soon, if nothing is done, to a state of guerrilla war in which the Israelis will be driven to use ever more brutal methods of suppression, just as the Germans and the Japanese and the Italians were forced to escalate their suppression of national resistance movements in occupied territories in World War II. I was in France in 1940 and I remember exactly the same feeling, the same atmosphere amongst the French people as I am told now exists on the West Bank of the Jordan. How pleased the French were to be out of the war! How thankful they were that the Germans, far from being terrible people, behaved so correctly! No women raped,

nize the state of Israel and the refusal of Israel to repatriate the Palestine refugees; the continuation of the state of war and the denial of passage for Israeli ships through the Suez Canal and the Gulf of Aqaba and the long stalemate broken by the Suez episode in 1956, which we might call round two, and punctuated by raids and reprisals across Israel's borders—a long stalemate which lasted until June of this year.

What we have to do now, and what I ask you to do now with me, is to address ourselves to the present day and to examine what, if anything, can be done to bring about a just and honourable settlement.

Mr. President, to put it bluntly, we have a situation today in which Israel, after the third round in the bitter running conflict with the Arabs, bestrides not just the U.N. partition frontiers nor just the frontiers which she gained by conquest in 1949, but the whole of the former state of Palestine, including the old city of Jerusalem, the third holy city in the Moslem world, together, for good measure, with the Sinai Peninsula. And Israel, it appears, is determined to stay in these areas, even to introduce Jewish settlements into them, while, for her own part, she still refuses to acknowledge any debt to the Palestine refugees who paid the price and are still paying the price for what Europe did to the Jewish people—paying the debt which Europe owes to the persecuted Jews of the world. Israel has made great play with the refusal in the past years of the Arabs to recognize her existence. Likewise, she has claimed that the continued state of belligerency on the part of the Arabs constitutes a permanent threat to her existence. And she has complained bitterly about the refusal of the Arabs to allow her freedom of navigation through the Suez Canal and the Gulf of Aqaba. The last of these, the Gulf of Aqaba, as you remember, was the immediate cause of the outbreak of the war in June of this year.

But now the Arabs are prepared to concede all these demands, as has been evidenced by their endorsement of the Indian and Latin American resolutions before the United Nations Security Council. The Arabs will recognize more than that. They will respect the territorial integrity and political independence of the state of Israel. That is in the resolution. The Arabs will terminate the state of belligerency. That is in the resolution. And they will guarantee freedom of navigation through the international waterways in the area. That, too, is in the resolution if, in return, Israel will withdraw from the Arab territory which she seized last June and will contribute to a just settlement of the Arab refugees.

Mr. President, surely no impartial observer could find fault with such terms. Yet it seems that this is not enough for the state of Israel. From the latest utterances of Premier Eshkol it seems that, having pocketed these far-reaching and fundamental concessions from the

say that the refugees were the cause of the first Arab-Israeli war rather than the result.

Of course, when the Arabs subsequently lost the war, in 1949, and with it lost northern Galilee and much of the territory allotted to them under the partition plan, the number of refugees increased considerably, doubled in fact, by the exodus from the areas newly conquered by the Israeli army. But just as, last June, it did not require exhortation from their leaders—indeed last June, if you remember, the Arabs left the west bank of Jordan against the exhortation of their leaders who told them to stay, and yet 175,000 still left—just like last June, it did not require exhortation from their leaders to make them leave in 1948 and 1949. The Arabs left because they panicked, as civil populations do panic in war, as the army of the conquering hordes spreads across their land, as the French and the Belgians and the Dutch panicked in 1940; or because they were evicted to make way for Israeli settlement of the conquered territories. Suffice it to say that when the dust of battle had cleared, the Arabs were worse off than ever in terms of territory and nearly 700,000 of their fellows from the Israeli occupied areas found themselves thrown on the charity of the Arab states and the United Nations for a bare subsistence and denied the opportunity to return to lands which they and their ancestors had owned and worked for thirteen centuries of human history.

And as the humiliation at their defeat and at the injustice done to the Arabs of Palestine rose in the throats of all the Arab world, they cast about for an explanation. How had this come upon them? Britain, they reckoned, had taken Palestine in the first place, in violation of her pledges to the Arabs, for imperialist and strategic reasons to establish a base from which to exercise a dominant influence in and around the Arab world. There was too much truth in this theory for it to be easily dismissed. World War II, they reckoned, had exhausted Britain's resources and she was no longer able to sustain such a base for herself. So, she and her Western allies had introduced this alien, Western European state of Israel to do for her and for them what she could no longer do for herself: to take over the garrison role which Britain no longer had the capacity to sustain; to act as a beachhead for British and Western purposes and designs upon the Arab world. These dark suspicions were tragically confirmed at Suez in 1956 when Britain and France, using Israel as their stalking-horse, invaded Egypt in a desperate attempt to seize control of the Suez Canal.

LADIES and gentlemen, so much for the background to this tragic conflict between the Arabs and Israel. The rest is too well known for me to need to repeat it tonight: the refusal of the Arab states to recog-

Jews sharing in the government and ensuring the essential interests of both communities. Immigration was to continue for five years at a predetermined rate of 15,000 a year after which any further immigration was to be by agreement with the Arabs. And the Arabs were to be protected against land purchase and land acquisition by the Zionist Agency.

This was by far the best, the wisest and the fairest solution yet contrived and had World War II not broken out a few months later it might have resolved the problem. But with Germany at her throat, Great Britain was no longer in a position to impose any solution on Palestine and by the end of the war Britain was too exhausted to cope any longer. The unspeakable atrocities of the gas chambers of Nazi Germany and of the occupied territories of Europe had turned the flow of Jewish migrants into Palestine into a flood totally beyond the capacity of Great Britain to control. In desperation, the British government handed its Mandate over Palestine back to the League of Nations' successor, the United Nations, to do their worst. Which is precisely what they did, by partitioning Palestine into six areas, three for the Jews and three for the Arabs—and incidentally, in a manner which gave to the Jewish areas all the best of the land and left the Arabs with the wilderness of Judea and the hills of northern Galilee.

Now from this moment when the United Nations passed their partition resolution, in November, 1947, until the departure of the British forces from Palestine in May 1948, when the Israeli state was formally established, the Zionists, aided by the Stern gang, went to work; went to work to persuade the Arabs to leave the areas which were to form the Israeli state. To reinforce the argument that such Arabs would have no place in Israel, the Stern gang, as some of you will remember, selected a few villages such as Deir Yassin to stage a massacre of the Arab inhabitants to create a general state of panic and hence an exodus of the Arab population. So that by May 1948, when Britain formally and finally abandoned her responsibility for Palestine, more than 300,000 Arabs had been evicted from their homes and farms and had become the first instalment of that hapless, hopeless, homeless group of suffering humanity known today as the Palestine refugees.

Ladies and gentlemen, Zionist propaganda would have us believe that the Palestine refugees are the product of the Arab attack on Israel in 1948 and that they were ordered to flee from their homes by their own Arab leaders, who promised that they would be restored when the Arabs had liquidated the state of Israel. The truth is the exact opposite. Before the Arabs attacked in May 1948, the Arab refugees numbered over 300,000; they had been ordered—nay forced—to leave by the Zionists who had neither use nor room for them in the areas of Palestine allotted to the Israeli state. Thus it would be truer to

mined Zionist pressure; a weakness which allowed the Jewish Agency to be established and to become a government within the Mandatory government of Palestine, while the Arabs were denied any effective say in the administration of their country whatsoever; a weakness which permitted the Zionist Agency to buy at knock-down prices land owned by Syrian and Lebanese landowners who were cut off from their properties by the international frontiers separating British from French mandated territories; a weakness that also permitted the Zionist Agency to evict thousands of Arab tenant and farm workers to make way for Jewish settlers from Europe, compensating these tenants and workers at times with as little as ten dollars per family.

After nearly ten years of this treatment, Britain in 1930 at long last appeared to recognize the need to protect the rights of the Arabs by a closer control of Jewish immigration and by protection for the Arab peasants and tenant farmers. But it only required the threat of Dr. Weizmann to resign the presidency of the World Zionist Organization to force Mr. Ramsay MacDonald, the British prime minister, to reverse his position and to revert to the policy of giving the Zionists a free hand in Palestine. Soon after this, the rise of Hitler in Nazi Germany created a steep rise in Jewish immigration. The Jewish proportion of the population climbed from 8 per cent to 30 per cent. The Arabs protested that they were being squeezed out. And again for a brief moment the British government recognized their claims and offered a legislative assembly, to be elected by proportional representation, which would give the Arabs a majority vote—not much after the other Arab mandated territories under Britain, Iraq, Transjordan and Egypt, had become completely independent. But once again the British government was forced to back down in face of protests from the Zionists, who feared that a legislative assembly with an Arab majority would threaten their plans to create a national Jewish state in Palestine.

THE Arabs, now driven to desperation, decided that armed rebellion was the only way to assert their rights. From 1936 to 1939 the rebellion continued, led by the Grand Mufti of Jerusalem. The Arabs lost far more heavily in human lives and treasure than either the Jews or the British, but still they carried on the struggle. By 1939 the British government was finally driven to accept the fact that the Arabs had a case and that something must be done to make amends for the shameful way in which they had been betrayed and their rights had been ignored. A conference was called in London of all parties to the Palestine dispute and when, inevitably, no agreement was reached, the British government decided to impose a solution, the famous White Paper solution of 1939. Palestine, it was decided, after an interval of ten years was to be an independent, bi-national state with Arabs and

as a strategic base from which to defend the Suez Canal under the humanitarian umbrella of the Balfour Declaration.

Ladies and gentlemen, small wonder that the Arabs felt betrayed by this cynical breach of the solemn pledges of independence which had been given to Sheik Hussein and to the Arab peoples. But still, because of a touching faith in their erstwhile allies, they allowed themselves to be mollified by a further series of pledges and assurances. The national home, they were assured, would not be allowed to become a national state and the civil and religious rights of the non-Jewish communities—which, to say the least, was a quaint, if not a rather sinister, description of an overwhelming Arab majority—would be safeguarded. Therefore, the Arabs felt that perhaps, after all, the denial of the pledges of independence might only be temporary. When all was said and done the Arabs of Palestine did then number 92 per cent of the population and the Jews, only 8 per cent. And so, armed with these assurances, such Arab leaders as the Emir Faisal agreed to cooperate in the creation of a refuge for the Jewish people in Palestine from the persecutions of Europe.

AFTER all, such cooperation was in full and total harmony with the traditional hospitality which the Arabs had extended down the centuries to the persecuted Jews of Europe, from the Spanish Inquisition right through to the pogroms of Czarist Russia. The one people, the only people, in the whole so-called civilized world who had never persecuted Jews were the Arabs. In Palestine, even as late as 1948, so close was the relationship between Jew and Arab that each and every child born in the same week, whether Jewish or Arab, became automatically a foster brother and foster sister of the other. Ladies and gentlemen, I defy anybody to find a closer human relationship between two segments of the same race. Even the Grand Mufti of Jerusalem himself, who led the Arab rebellion from 1936 to 1939 against the Zionist agents in Palestine, even the arch-enemy of Jewish settlement, Haj Amin al Husseini, had three Jewish foster brothers.

Thus, provided that the rights of the Arabs were not threatened, in all the circumstances and with all the history of Arab-Jewish cooperation, it seemed both natural and right, as the Emir Faisal had agreed with Dr. Chaim Weizmann in 1919, that "all necessary measures shall be taken to encourage Jewish immigration on a large scale and to settle Jewish immigrants upon the land". Alas, poor Faisal and his fellow Arab leaders, both inside and outside Palestine, did not reckon with the determination of the Zionist Movement to create, not a home, but a state and a state which, in the words of Dr. Weizmann, would be "as Jewish as Britain is British". Nor did Emir Faisal reckon with the weakness of successive British governments in the face of this deter-

This article was originally delivered at the Leon Lowenstein auditorium of Congregation Emanu-El, New York City, as a public address preceding the twenty-third Annual Conference of the American Council for Judaism in New York City on November 2, 1967. The form of an address has been retained.—Ed.

Fifty years ago today His Britannic Majesty's Principal Secretary of State for Foreign Affairs, the Rt. Hon. Arthur James Balfour, issued on behalf of Britain's wartime government the famous Declaration that was to bear his name: "His Majesty's Government view with favour the establishment in Palestine of a national home for the Jewish people and will use their best endeavours to facilitate the achievement of this object, it being clearly understood that nothing shall be done to prejudice the civil and religious rights of the existing non-Jewish communities in Palestine".

Ladies and gentlemen, today, fifty tortured, bitter years afterwards, the national home for the Jewish people has become the national state of Israel and the civil rights of the Arabs of Palestine lie trampled under the heel of an Israeli army of occupation. Now, how has this happened, how has this seemingly great humanitarian gesture, the Balfour Declaration, turned so sour and left such a trail of bitterness and agony in its wake? And what are we going to do about it? Mr. President, I hope I may be forgiven if I take a little time this evening to review briefly the tragic sequence of events in Palestine which followed the Balfour Declaration and the establishment of the British mandate, because if we are to understand—still more to resolve—the current political crisis arising out of the Arab-Israeli war of last June, it is essential that we should recall just how this present impasse was reached.

First, we cannot forget—for if we forget no Arab will forget—that in 1915 Great Britain promised to Sheik Hussein of Mecca that in return for the help of his Arab armies in the campaign against Turkey, Germany's ally in World War I, all Palestine plus Iraq, Syria and Transjordan and the Arabian Peninsula would be free and independent once their Turkish rulers had been defeated. No sooner had this pledge been given and the Arab armies mobilized in response, in the common allied cause, than Great Britain and France got together and, in the infamous Sykes-Picot agreement of 1916, agreed to parcel out Syria, Iraq and Transjordan between them as the spoils of war. Following upon this, to complete the double-cross, in November 1917, exactly 50 years ago today, Great Britain decided to take over Palestine

the tragedy of Palestine from the Balfour Declaration to today

by

the Rt. Hon. Anthony Nutting

الفهرس

* * *

* * *

* * *

* * *